وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس . مستغانم

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

الدراسات الأدبية

الحنين في الشعر الأندلسي

مقاربة نقديّة لنونية ابن زيدون

مذّكرة تخرّج مقدّمة ضمن متطلّبات شهادة الماستر في اللّغة العربية.

تخصّص أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

ليدريسي خيرة

تحت إشراف:

د. قادة مجد

السنة الجامعية: 2018 /2019

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

يا رب

لا تجعلني أصاب بالغرور اذا نجحت

ولا باليأس اذا أخفقت

يا رب

ذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

يا رب

اذا أعطيتني فلا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي

وإذا أسأت يا رب الناس فامنحني شجاعة الاعتذار

وإذا أساء الناس إلي فامنحني شجاعة العفو

يا رب

علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي

وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب نفسي كما أحاسب الناس.

وعلمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة.

وان الانتقام هو أول مظاهر الضعف

امين يارب

الإهداء:

إلى أيدي أمدتني بالطاقة إلى نجوم في حياتي مضاءة.

يا حنانا جادت به كفاك.... بلسم في أصعب أوقاتي... أمي

يا قوة حانية... أزالت الصخر من طرقاتي... والدي

يا من أسر كياني ....وملأ الدفاع بوجداني...زوجي الغالي ورفيق دربي الذي لطالما كان مصدر شوقي وإلهامي ومنبع قوتي زوجي عثمان يا زهورا تفوح عطرا يا طيورا تزقزق ذكري إخوتي مصطفى، لخضر ورشيد

يا دواء يشفي العلة ويا ثورة تزلزل الحب أخواتي وهيبة ومليكة.

إلى كل أفراد عائلة لبدريسي وجلالي.

إلى كل زملائي وزميلاتي بقسم الأدب العربي بجامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم وخاصة بوخاتم فايزة، وبوشليل ربيعة.

ل. خيرة

شكر وعرفان:

يقول رسول الله ﷺ:

"مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الناسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَه"

والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه وكل من القتلى أثره

شكري الخالص إلى الأستاذ الدكتور قادة مُحَمّد الذي شرفني بإشرافه على هذه الدراسة وتابع مراحل بحثي واكسبني فكرا ومنهجا فله مني جزيل الشكر والعرفان.

كما أتقدم إلى كل من حثني على مواصلة البحث رغم الصعوبات أنني واجهت خاصة أصدقائي وأساتذة معهد الأدب العربي فلهم مني خالص الشكر والامتنان.

 

مقدمة

 

مقدمة:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى اله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين وبعد:

يعد موضوع شعر الحنين من المواضيع الهامة التي نالت حيزا واسعا في الدراسات الأدبية الغربية والعربية على حد سواء، فظاهرة الحنين لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له، لذلك نلاحظ انعكاساتها في الأعمال الأدبية وفي الشعر تحديدا، لما يحمله من خصوصية إذ إنها تعبير عن الأحاسيس والعواطف والأفكار، وتعد ميدانا رحبا لهواجس الإنسان، وتعبيرا أصيلا عن خلجات النفوس، كما أنها تليق أكثر قدرة من النثر على عكس تجارب الشاعر الحزينة والمؤلمة بشكل صاف.

ولأن الشعر كان ولا يزال وسيبقى تجسيدا لاستجابة إنسانية لرؤية العالم، فقد كان أكثر صلة بظاهرة الحنين وأفصح في التعبير عنها وأدق في تصويرها، لأن الحنين يعد من أغراض الشعر التي تميز بها الشعراء عامة وشعراء الأندلس خاصة، حيث كانوا يحنون إلى الوطن الأندلسي بكثرة، وكان هذا جانبا مهما في نتاج الشعراء، وقد انعكس بصورة خاصة عند العديد منهم والذين هاجروا إلى جهات متعددة خارج الأندلس، وانتشىء ذلك الحنين وبلغ مداه عندما سقطت مدن الأندلس في أيدي النصارى سقوطا مفجعا وأليما، فأصبحت صورة الأندلس تتراءى لهم كجنة ضاعت وفردوسا فقد.

وقبل هذا كله كان الشعراء عندما ينفون من مدينة إلى مدينة داخل الأندلس لأسباب اجتماعية أو سياسية كانوا يحنون إلى مدينتهم الأم التي نشئوا فيها منذ الصبا، وكان من هؤلاء الشعراء الشاعر الوزير ابن زيدون والذي هو نموذج لموضوع بحثنا المتواضع، حيث كان يحن إلى قرطبة حنينا شديدا ويشتاق إليها اشتياق العاشق الملتاع، فهي ملهى صباه ومرتع صلابته وذكرى حبه ومستقر حبيبته، فجعبة معاني الشوق عنده لا تنفذ نظرا لحبه الشديد للوطن والأهل والأحبة لذلك درسنا شعر الحنين في الأندلس وأخذناه كنموذج في الحنين بقصيدته النونية الرائعة التي مطلعها " أضحى التنائي بديلا من تدانينا" وكان اختيارنا لهذا الموضوع لدافعين: ذاتي وآخر موضوعي:

فالدافع الذاتي تمثل في إعجابنا بالشاعر ابن زيدون الأندلسي ورغبتنا في الكشف عن أسرار اللعبة الفنية وخاصة في قصيدته النونية وهي النموذج المعتمد في البحث، أما الدافع الموضوعي فتمثل في الاجتهاد في دراسة شعر الحنين الأندلسي وذكر أهم خصائصه ومميزاته.

وقد انطلق البحث من إشكالية رئيسية تمحورت حول مجموعة من التساؤلات تمثلت فيما يلي :

- **ما مفهوم الحنين؟ وكيف نشأ وتطور في بلاد الأندلس وعلى يد من؟**
- **ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور شعر الحنين؟**
- **ما هي أهم المواضيع التي نجد شعر الحنين يتحدث عنها؟**
- **كيف تجلت ظاهرة الحنين في القصائد الأندلسية من خلال شكلها الفني؟**
- **من هو ابن زيدون؟**
- **كيف أصبحت نونية ابن زيدون نموذجا مهما في شعر الحنين الأندلسي؟**

سوف نحاول الإجابة عن هذه الإشكالية خلال بحثنا هذا الذي اتبعنا فيه المنهج الوصفي القائم على ذكر أهم المميزات والخصائص الفنية للنصوص والقصائد الأدبية.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن ندرسه ونقسمه إلى ما يلي:

مقدمة وقد شملت إحاطة بالموضوع وذكر أسباب اختياره والمنهج المتبع واهم الأهداف المرجوة.

مدخل تناولنا فيه فتح الأندلس والتعريف بها وذكر ابرز خصائصها واهم المراحل التي مرت بها، بالإضافة إلى وجود فصلين اثنين كل فصل يحتوي على أربعة مباحث وخاتمة وملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

<u>الفصل الأول</u>: خصصناه بالتعريف بماهية الحنين (النشأة والتطور) فكان فيه التعريف اللغوي ثم الاصطلاحي، بالإضافة إلى ذكر أسباب ذيوع شعر الحنين من أسباب داخلية وأخرى خارجية، كالهجرة والترحال والأسر في السجون وسقوط المدن الأندلسية وغيرها،

ولا ننسى أهم المواضيع التي وجدت في شعر الحنين كالحنين إلى الوطن والحنين إلى الأهل والأقارب والأحبة بالإضافة إلى الحنين إلى الطبيعة الخلابة والجميلة وحتى الحنين إلى المحبوب الذي يعد عنصرا أساسيا في شعر الحنين.

وفي **الفصل الثاني** والموسوم ب: أدوات التشكيل الفني والجمالي لنونية ابن زيدون، فكان هذا الفصل مقسما إلى عناصر أهمها التشكيل اللغوي والأسلوبي ودوره في بناء القصيدة والذي ناقشنا فيه التشكيل اللغوي من ناحية اللغة الشعرية ومن ناحية العاطفة ولا ننسى ذكر التشكيل الأسلوبي وذلك من خلال بيان الأسلوب الخبري والإنشائي وفي العنصر الثاني ناقشنا التشكيل البلاغي ودوره في بناء القصيدة من ناحية التشكيل البديهي من طباق ومقابلة وجناس وسجع والتشكيل البياني من خلال ذكر التشبيه والاستعارة والكتابة، وآخر عنصر كان فيه التشكيل الموسيقي ودوره في بناء القصيدة وذلك من خلال الموسيقى الخارجية من وزن وقافية وروي الموسيقى الداخلية من ناحية إيقاع التكرار الأصوات والكلمات وإيقاع التصريع، وخاتمة والتي هي عبارة عن ذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها في مختلف فصول البحث.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع، بحيث كانت هذه الأخيرة خير معين لنا وزودتنا بالمادة اللازمة للبحث، ومن بين المصادر نذكر كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب للمقري، نقد الشعر لقدامى بن جعفر، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني وكتاب الروض لمعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله الحميري، ولا ننسى أهم مصدر وهو خاص جدا بالبحث إلا وهو ديوان ابن زيدون ...الخ، بالإضافة إلى قائمة المراجع وعلى رأسها كتاب الغربة والحنين في الشعر الأندلسي لفاطمة طحطح الحنين في الشعر الأندلسي لأحمد محمد قالي، وكتاب الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق وغيرها من المصادر والمراجع العديدة.

أما عن صعوبات البحث فترجع أساسا إلى طبيعة ظاهرة شعر الحنين وكيفية التعامل معها وخاصة مع القصيدة وكيفية تحليلها وإظهار سماتها الفنية والجمالية.

وختاما نقر بالفضل لأصحابه فنسجل شكرنا وامتناننا لأستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور قادة محمد على فضله بالإشراف وإكبارنا لأساتذتنا الكرام على تجشمهم عناء القراءة والتقويم والتوجيه، كما نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو إلى حد ما في تقديم إضافة للموروث الأدبي العربي القديم.

والله نرجوا التوفيق والسداد.

المدخل

المدخل:

الأندلس أو ايبيريا، شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من اوروبا، وتتصل برا بأوروبا من الجهة الشمالية الشرقية، ويفصلها ويفصلها عن فرنسا سلسلة جبل البرت " البراني"، أما الجهات الأخرى فتحيط بها الحياة، فيحدها المحيط الأطلسي من الجهة الغربية " بحر الظلمات" وأما من الشرق البحر المتوسط " بحر الروم" ومن الجنوب مضيق جبل طارق وترتفع وسط الأندلس وشمالها هضبة أطلق عليها المسلمون " جبل الشات" أين ينبع منها العديد من الأنهار التي تخترق الأندلس، وأهمها: نهر الوادي، نهر شعر، نهر وادي بانة، نهر التاجة ونهر الدورية...الخ

ومن المدن الكبرى في شرق الأندلس نجد: مرسيه، دانية، بلنسية، برشلونة أما في الغرب اشبيليه وشلب وماردة وغيرها من المدن.[1]

فالاندلس إحدى مقاطعات اسبانيا واسمها في الأصل " وندلوسيا" نسبة إلى لوندال أو " الفندال، وكانوا قد استوطنوها بعد الرومان، فلما فتحها العرب سموها الاندلس ثم أطلقوا هذا الاسم على اسبانيا كلها.[2]

احتلت شبه الجزيرة الابيرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى الخامس الميلادي، وسميت باسمها " فاندلسيا" أي بلاد " لوندال" ثم نطقت بالعربية الأندلس.[3]

وإذا توقفنا قليلا أمام كلمة الأندلس " فإننا نتساءل هل عرف العرب هذا الاسم الأعجمي قبل الإعلام؟ فالعرب في الواقع لم يعرفوا إلا في الإسلام، حين أطلقوا على شبه جزيرة ايبيريا

---

[1]) يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب المغرب والأندلس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، 2007ص 07.

[2]) جرجي زيدان: فتح الاندلس، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2014ص 16.

[3]) المرجع نفسه، ص 16

بعد فتحها، واصل هذا الاسم منسوب ببعض الغموض شأنه في ذلك شأن الاسمين القديمين، ايبيريا عند اليونان واسبانيا عند الرومان.[1]

وقد ذهب ابن عذاري المراكشي في البيان المغرب إلى أن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلس (بشين معجمة), فسميت بهم الأندلس (بشين غير معجمة) وقيل إنهم كانوا مجوشا فأراد الله قلعهم...

وأخذهم بذنوبهم فهلك أكثرهم وفر من قدر على الفرار منها، فأقفرت الأندلس منهم وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة.[2]

وبعد أن فتح المسلمون الأندلس حدث اندماج بين الأعراق المختلفة ذات الثقافات المختلفة، فأنتج هذا الاندماج مجتمعا واحدا أطلق عليه المؤرخون اسم المجتمع الأندلسي، وقد استطاع هذا المجتمع الجديد أن يقدم إسهامات كبيرة في مجالات العلوم بالأدب والفنون التي أرفعت الحضارة الإسلامية برافد غني أسهم في ازدهارها وتطورها.[3]

إنما تم هذا الفتح نقل العرب المسلمون إلى اسبانيا خال وجودهم الأكثر من ثمانية قرون خزائن حضارية أزالت النظام والعبودية، وأثارت العقول وأنتجت مختلف العلوم والفنون أيضا، وكان يسود التسامح الديني بين المسلمين والمسحيين بالإضافة إلى وجود الكنائس بالقرب من المساجد ومعايشة السكان.[4]

أيضا هناك بعض المجتمعات مارسوا عادات المسلمين في ملابسهم وطعامهم وأسمائهم ووضع الحناء على الشعر، ومارسوا الختان أيضا، كما امتنع بعضهم عن أكل لحم الخنزير

---

[1]) صادق جودت: تاريخ المغرب والأندلس، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ط١، 1998ص 17.

[2]) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس المغرب، تحقيق ليفي بروفيسال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٢، 2009ص 2.

[3]) عثمان العبادلة: دراسات في الأدب الأندلسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، 1995ص 12.

[4]) محمد بشير العامري، دراسة حضارية في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر، عمان الأردن، ط١، 2012ص 252

واستمروا بحبهم للنظافة حيث يذكر أن أهل الأندلس أسد خلق الله اعتناءا بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وما يأكلون.[1]

ولكن هذا كله لم يمنعهم من الرجوع الى طبيعتهم المتأصلة فيها والى الملكة التي نشؤوا عليها وورثوها في دمائهم وهي قرض الشعر.[2]

وعليه فإن الاندلس بلاد الجمال وقصائد الشعراء، فالشعر ديوان العرب وفيما يذهب إليه ابن منظور في لسان العرب: " هو منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وربما سمو البيت الواحد شعرا".[3]

ويقول ابن رشيق في كتابه العمدة :" باب حد الشعر وبنيته" إن الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي اللفظ الوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزونا مقفى وليس شعرا كاشياء اتزنت من القرأن، ومن كلام النبي ﷺ "والمتزن ما عرض على الوزن فقبله".[4]

والشعر في رأي شوقي ضيف هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد، ومما يدل على أن العرب كانوا يعتقدون بأن من الشعر ضرب من الصناعات أنهم جعلوه كالحلل والمعارف.[5]

وعليه فقد كان الشعر من أهم ما نقل العرب معهم إلى الأندلس بالإضافة إلى رسالة الإسلام، وقد ظل ملازما لهم في ترحالهم وحلهم، وما كادوا يتيحون رحالهم في ارض الأندلس حتى أخذت بذرة الشعر تنموا شيئا فشيئا، ويزداد انتشارها في ارض الأندلس حتى

---

[1]) احمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2005ص 85.

[2]) مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات، القاهرة، مصر، 2008ص 307.

[3]) ابن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر، مجلد 4 دت، دط، ص 410.

[4]) ابن رشيق القيراواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: صلاح الدين الهواري، مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2002دط، ص 290.

[5]) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د ت، ص 13

غدا الشعر ارفع الفنون وأكثرها خطوة لدى أهل الأندلس كافة عربا ومستعربين ولدى الطبقات الاجتماعية كافة ملوكا ووزراء وقضاة ورجال ونساء.[1]

فالشعر الأندلسي ظهر ونشأ في ظروف مختلفة عن مثيله في الشرق ظروف تتصل بطبيعة الأندلس وتنوعها وغنى بمواطن جمالها، وأخرى متصلة بالتكوين الثقافي للسكان، فلأول مرة يلتقي الجنس العربي مع أجناس لاتينية وقوطية وبربرية ويهودية على أرض واحدة وتتعايش تحت سمائها الأديان السماوية: الإسلام، اليهودية والمسيحية فيسمع صوت المؤذن إلى جانب رنين أجراس الكنائس، وتتحدث العربية إلى جانب الأمازيغية والإسبانية فنشأ من التعايش جوا خاص وحضارة فذة تلهم الشعر الصادق.[2]

والشعر الأندلسي يعد على مر العصور وسيلة ترفع صاحبه إلى أسمى مراتب الدولة، بغض النظر عن عقيدة الشاعر ودينه، فقد نبغ عدد من الشعراء غير المسلمين ومن بينهم شواغر.[3]

وقد حظي الشعر عند الأندلسيين بمكانة عظيمة، وكان للشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة.[4] ونفهم من هذا أن الشعر الأندلسي لم يكن مختلفا كثيرا عن ما كان للشعراء عند العرب.

فلقد مر الشعر الأندلسي بالعديد من المراحل التاريخية فالدولة هناك في الاندلس مرت بمراحل عديدة من ارتفاع وانحدار ولم تخضع هذه التحولات الحادة لمنطق واضح وهكذا يخضع الأدب بدوره لهذا التأرجح بين القمة والحضيض.[5]

---

1) صلاح جرار: قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، عمان الأردن، 2007ط 1ص 07

2) المرجع نفسه، ص11

3) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت ط٢ 1974ص 80

4) احمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، دار الفكر بيروت لبنان، ج١، 1998 ص 222

5) محمد زكرياء عناني، تاريخ الادب الاندلسي، دار المعارف الجامعية، 1999دط، ص 73

وإننا عند الحديث عن نشأة الشعر الأندلسي لا نتكلم عنه كما نتكلم عادة في تاريخ الآداب النامية، فالشعر الأندلسي شعر أمة جاوزت مراحل طفولتها البدائية منذ الفتح وتركزت السلطات السياسية فيها والتمازج الاجتماعي.[1]

أولاً: عهد الفتوح والولاة: صحيح أن العرب انشغلوا في بداية حياتهم في الأندلس بالفتوحات والمعارك و العربية والغزوات،. ولكن الراجع بالاستناد إلى ملازمة الشعر والفن لكل حركة اجتماعية ناشطة في حياة الشعوب والأمم وإلى تعلق العرب القوي بالشعر ورسوخ فن الشعر لديهم.[2]

ومع ذلك فإن الشعر في هذا العهد ظل مجرد صدى للشعر الشرقي في معاينة وأساليبه وأعراضه وأشكاله التعبيرية إجمالي وهذا يمكننا الترجيح بأن الشعر الأندلسي قد نشأ نشأة أتباعه تقليدية خالصة ولو أنه تطور تطور فيها بعد بفعل العوامل السالفة الذكر ومن شعراء تلك الفترة :بكر الكناني ،عباس بن ناصح ويحي بن حكم الغزال وغيرهم من الشعراء.[3]

ثانيا: في هذا العهد ازداد الشعر انتشار نتيجة الحركة العلمية والأدبية وما أولاه الحكام إياه من اهتمام،ونطالع في البداية لهذا العهد 138/755م أولى الآثار الشعرية المعروفة ومن جملة أصحابها من الشعراء، يرد اسم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن مروان المشهور بعبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية.[4]

---

[1]) ميشال عاصي: الشعر وبيئته في الأندلس، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،ط١، 1970ص 53.

[2]) المرجع نفسه: ص51.

[3]) حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي _دار الجيل _لبنان_ط1، ص 936.

[4]) يوسف عطا الطريفي_ شعراء العرب . المغرب والأندلس _ص16.

الحنين .منها قوله:

أَيُهَا الرَاكِبُ المِيمَ أَرْضِي   أَغِيرُ مِنْ بَعْضِ السَلاَمِ لِبَعْضِ

إنَ جِسْمِي عَلِمُتَ بِأَرْضِ   وَفُؤَادِي وَمَالِكيهِ بَأرْضِ

وقد اشتهر هذا العصر جملتين الشعراء منهم : ابن عبدر 339و ابن هاني الإليبيري 362وازبيدي 379وابن برد 394.[1]

ثالثا: عهد إلا مارات : اشتد في هذا العهد التنافس بين الحكام الإمارات المختلفة في طلب العلم والأخذ بأسباب الأدب وتقريب الشعراء،بل تنافسوا في نظم الشعر ،كما كانوا يتراسلون بالشعر.[2]

فاستطاعت الأندلس عن طريق هذا التنافس أن تظفر بأكبر حظ عن النشاط العلمي والأدبي ،وذهب الباحثون بالتالي إلى إمكانية أن يعد عصر ملوك الطرائق من أزهى عصور الأندلس من الوجهة الحضارية.[3]

ومع ذلك فإن الشعر نهض في هذا العهد نهضته ظلت في حدود الصورة العامة للشعر العربي.

وقد اشتهر في ذلك العصر المعتمدين عباد صاحب إشبيلية 461هـ.وابن زيدون 364هـ وأبوبكر اللبانة الدامي 507هـ وغيرهم.[4]

عرفت هذه الفترة ما يسمى بالفتنة البربرية .ولاشك أن الشعر الأندلسي تأثر بهذه الفتنة ،وبدى وكأنه يلفظ آخر أنفاسه، كأن كيانه ناء بثقل النازلة، وانطوى على نفسية إلى حنين،

[1]) ميشال عاصي _ الشعر وبيئته في الأندلس، ص55.

[2]) يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب المغرب والأندلس، ص17.

[3]) شوقي ضيف ،الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص432.

[4]) المرجع نفسه ص433.

فأنصرف من أهل العناية والضبط إلى تخليد كنوز هذا الأدب وصيانته من الضياع ،فكان هذا العصر عصر تصنيف مجموعات المختارات العظيمة كالذخيرة في محاسن أهل الجزيرة للشنتريني وقلائد العقبان لابن خاقان[1].

زد على ذلك أن المشرق كان إذا ذلك في انهيار ولم يبق له على الأندلس أداة أثر ضئيل ،ويمكن بذلك القول أن الشعر في هذا العهد انحط انحطاط مشوؤما.[2]

خامسا: عصر الموحدين: سميت هكذا نسبة إلى محمد بن تومرت الذي نجا منحى متشددا في العقيدة ،لقب نفسه بالموحد ،ولما كثرت جموعه ،تصدى للمرابطين وعليهم ثم تولى الأمور من بعد عبد المؤمن بن علي ويتبعه أصحابه بالخلافة فبانت له إفريقيا والأندلس.[3]

ومع أنهم كانوا يهتمون بتطبيق الشريعة فقد كانوا أكثر من المرابطين في تشجيع العلوم والأداب وأكثر انفتاحا على الفكر والمعرفة ،وفي زمنهم فاع صيت ابن طفيل وابن رشد وقد دام حكمهم أكثر من مائة وثلاثين عاماً.[4]

وفي هذا العصر تمتعت الأندلس بالأمان والهدوء ،فوصلت العلوم حينها إلى العلاء،وابن بيطار واستمر كذلك إقبال الشعراء على صوغ القريض واستمر حماس الناس لشعرهم.

سادسا: دولة بني الأمر: هو عصر مملكة غرناطة،ولا يحمل الخصائص الشعرية في المرحلة إلا كلصة واحدة ألا وهي رأي حسين مؤسس أنه كان ذيلا على تاريخ الأندلس.[5]

بالإضافة إلى تفكك الدولة العربية في الأندلس، وتراجع العرب عن المدن واحدة تلو الأخرى لم يبق في أيديهم سوى بقعة صغيرة في الجنوب يحكمها ابن الأحمر وأحفاده وكانت

---

[1]) حسين مؤنس : الشعر الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1998،دط، ص27.

[2]) المرجع نفسه، ص 28.

[3]) يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب المغرب والأندلس، ص20.

[4]) ر.ن .ن ص.

[5]) حسين مؤنس، الشعر الأندلسي ص37.

عاصمتهم غرناطة، وقد استطاعت هذه الدويلة أن تعيش نحو قرنين ونصف ،وقد صمدت عدة مرات لغزوات عديدة.[1]

لكن في عام 1492.898غزا فريديناند وإيزابيلا غرناطة واستطاعا فتحها بعد حصار مرير ،فسقطت بأيديهم، وكانت ومع مرارة الحدث آخر معقل للعرب وقد تمت هذه المأساة في زمن أبي عبد الله الصغير الذي تسلم مفاتيح قصور الحمراء إلى الفرنجة، وما كان من أبي عبد الله سوى أن يرحل عن ذلك الفردوس، وعيناه مغرورقتان بالدموع حين ألقى نظرة الوداع نحو قباب الحمراء في غرناطة ويقال أن أمة عائشة قالت قولتها المشهورة :

ابك مثل النساء ملكا صائعا لم تحافظ عليه مثل الرجال. [2]

[1]) يوسف عطا الطريفي: شعراء العرب، المغرب والأندلس.ن.ص.

[2]) المرجع نفسه .ن.ص.

الفصل الأول

الفصل الأول: شعر الحنين (المفهوم و النشأة)

المبحث الأول: تعريف الحنين

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

المبحث الثاني: نشأة شعر الحنين في الأندلس

المبحث الثالث: أسباب ذيوع شعر الحنين

أ. الرحلة.

ب. الابتعاد والاعتقال.

المبحث الرابع: موضوعات شعر الحنين.

أ. الحنين إلى الوطن.

ب. الحنين إلى الطبيعة.

ت. الحنين إلى الأهل.

ث. الحنين إلى المحبوب.

أوّلا: مفهوم الحنين

- **لغة:**

استخدم العرب كلمة الحنين مرتبطة بالناقة فحنين الناقة يعني صوتها إذا اشتاقت,و نزاعها إلى ولدها من غير صوت كما أورد **الجوهري** في كتاب الصحاح[1] و سبقه إلى ذلك **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، وزاد بأن أورد **رؤبة بن العجاج**:

حَنَّتْ قُلُوصي أَمْسُ بالأُرْدُنِ حنِّي فَمَا ظُلِمْت أَنْ تَحَنِي[2]

وهذا كشاهد على قوله.

وأورد **ابن منظور** في باب حنّ: حنت الإبل تعني نزعت إلى أوطانها،وقيل حنينها نزاعه بصوت وبغير صوت والأكثر الحنين بالصوت.

قال الشاعر:

يُعَارِضْنَ مِلْواحًا كَأَنَّ حَنينَهَا قُبَيْلَ انْعِتَاقِ الصُّبْحِ تَرْجيعَ زَامِر[3]

يتضح مما سبق أن صوت الناقة يسمى حنينا لذلك سميت الناقة الحانة فيقال: **«ماله حانة ولا آنة»**

يقول **الزمخشري:** الحنين للناقة و الأنين للشاة[4] ومن معانيه العطف و الرحمة لقوله سبحانه وتعالى: **﴿ يَيَحْي خُذِ الكِتَابَ بِقُوةٍ وَأَتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا، وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَواةٍ وَكَانَ تَقِيًّا﴾**[5]

[1]) اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، كتاب الصحاح، دار العلم للملايين، ج 5، بيروت، ص 2104.

[2]) الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهديّ المخزومي و إبراهيم السامرائي، كتاب العين، الأعلمي للمطبوعات، لبنان،ج 3، ص 29.

[3]) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990م، ج 13، ص 129.

[4]) جار الله محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ص145.

[5]) سورة مريم الآية 12-13.

وفي قاموس المحيط الحنين هو الشوق و شدة البكاء. حن, يحن, حنينا: استطرب, فهو حان, كاستحن وتحان, معنى هذا أن الحنين يرتكز على العطف وشدة الحنان للغير[1]

ثانيا : تعريف الحنين اصطلاحا

هو شعر غنائيْ، يصف ما يغشى الإنسان من حزن وذبول عندما يبتعد عن وطنه أو عندما يتذكر ماضيه الجميل.[2] و هذا الشعر ليصور تلك الرّحلة التي يقوم بها الشاعر في الزمان المنصرم، مسترجعا ذلك الزمان، مستحضرا إياه بمكانه و أهله وأحداثه.[3]

فالحنين يعني حياة السرور و البهجة و الفرح لأنّه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من الليل أو النهار والحنين عاطفة سامية أودعها الله عز وجل في الإنسان منذ الأزل وهي إحساس وشوق، لولاها لقعد الإنسان عن آمائه وغلق نفسه في دوامة من الهموم.[4]

وقد أشار الناقد القديم **حازم القرطاجي** إلى الحنين دون أن يذكره بالاسم وهو يتحدث عن: « أحسن الأشياء التي تعرف ويتأثر لها أو يتأثر بها، إذا عرفت وهي الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها، أو ما وجد فيه الحالان من اللّذة و الألم، كالذكريات للعهود الحميدة المنصرمة التي توجد في النفوس تلتذ بتخيّلها وذكرها، و تتألم من تقضيها و انصرامها... »[5]

وعليه فكلمة الحنين بكل مسمياتها ومعانيها ذات إيحاءات عاطفية تعبر عن شفافية و رهافة في الإحساس وتدور مصطلحاتها حول البكاء و الطرب و الشوق و الحزن و الفرح.

المبحث الثاني: نشأة شعر الحنين في الأندلس:

---

[1]) الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406ه، ط1،ص 630.

[2]) أحمد دقالي- الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري- دار الوفاء- الإسكندرية-ط2- 2008م- ص26.

[3]) فاطمة طحطح- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي- منشورات جامعة محمد الخامس- الرباط- المغرب-1993م- ص35.

[4]) عمر بوقرورة- الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث- مركز منشورات جامعة باتنة- أنجز طبعة على مطابع عمار قرفي- باتنة- الجزائر- ص18.

[5]) حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تح: محمد الحبيب بن خوجة- دار المغرب الإسلامي- بيروت- 1981م- ص21.

الحنين باب قديم في الشعر العربي، و إن جاز لنا أن نجعل لشعر الحنين بداية يمكننا القول بأنّ أوّل من حنّ إلى الدّيارو بكى عليها في الشعر العربي هو **ابن حذام.***

عُوْجًا عَلَى الطَّلَل المحِيل لَعَلّنَا نَبْكِي الدّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حُذَامَ[1]

فقد استبدت مشاعر الشوق و الحنين بذلك العربي لتخرج شعرا عذبا شجيّا، فقد أشار **ابن سلام الجمحي،** إلى بيت **لامرؤ القيس بن حجر،** يحنّ فيه إلى الديار لما حنّ **ابن حذام** .

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى رَضَيْتُ مِنَ السَّلامَة بالإيّابِ[2]

و كذلك يقول **أبو فارس عنترة بن شداد** في مستهل قصيدته:

هَلْ غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدّيَارُ بَعْدَ تَوَهُمِ؟[3]

وقال **النابغة الذبياني**:

عُوجُوا، فَحَيُّوا النِعْمَ دِمْنَة الدَّارُ مَاذاَ تَحُيُونَ مِنْ نُؤَيْ وَ أَحْجَار

أَقْوَى وَأَقْفَرُ مِنْ نِعَمٍ وَغَيْرِهِ هُوُجُ الرّياَحِ تَهَابِي التُرَابِ مُوَارِ[4]

وقد ظهر تطور شعر الحنين في الأندلس، وذلك بعد أن سقط كثير من أجزاء البلاد في يد الإسبان وهاجر كثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب أو بلاد المشرق، تاركين وطنهم، وقد أفاض ذلك الدموع في أشعارهم، فعبروا عن لوعتهم و حسرتهم و شوقهم ومعاناتهم...[5]

ومن الظواهر التي تسترعي نظر الباحث في الشعر الأندلسي، ظاهرة شيوع الشعر بين عرب الأندلس على اختلاف طبقاتهم، فالشعر في الأندلس لم يكن وقفا على الشعراء وحدهم، وإنّما شاركهم في نظمه، وإلى حد الإجادة أحيانا كثيرون من أهل البلاد على اختلاف أهوائهم و مشاربهم.[6]

---

* ابن حذام هو أحد شعراء طر، لم يورد عنه أيّ شعر.

1) أحمد الهاشمي- جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب- مؤسسة المعارف للطباعة و النشر- بيروت- ج1- ط1- دت- ص33.

2) ر.ن- ن.ص.

3) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزي- شرح المعلقات السّبع- تقديم كوجان- دار الحسين بن الحسين اليقظة- بيروت- د.ط-1969م- ص07.

4) ر.ن- ص08.

5) يوسف طويل- مدخل إلى الأدب الأندلسي- دار الفكر اللبناني- بيروت- ط1- 1991م- ص135.

6) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- لبنان- ص176.

وشعر الحنين نشأ وتوسع في الأندلس نظرا لتعلق الأندلسيين به وعليه، فشعر الحنين يعدّ فنّا من الفنون العربية التقليديّة، فالحنين إلى الأوطان و الأهل و الأحباب من رقة القلب و علامات الرشد لما فيه من الدلائل على كرم الأصل وتمام العقل.[1]

وللقدماء كلمات مأثورة كثيرة في الحنين تدل على نبل هذه العاطفة وعمقها في النّفس البشرية لقول قائل: « لا تشك لما فيه قبائلك، و لا تجف أرضا فيها قوابلك».*

وإذا كان المشارقة لهم فضل السبق إلى شعر الحنين فإنّ الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتقدموا عليهم في هذا الفن.[2]

ولو أردنا التحدث عن شعر الحنين في الأندلس بصورة عامة لطال بنا الكلام وامتدّ، ذلك لأنّ الأندلس في قلوب أهلها منزلة لم يحظ بها وطن آخر في نفوس أهله،[3]فشعر الحنين الأندلسي يتأثّر من عوامل عدّة منها: إحساس الشاعر بعدم الاستقرار في المنفى، مما يدفعه إلى مقارنة الحاضر بالغابر، وأرض الوطن الأصيل بأرض الوطن البديل ومنها الرّغبة أيضا في التحريض، وذلك من خلال لجوء الشاعر إلى تضخيم الإحساس بالخسارة وما ينتج ذلك من لوعة تبرّر ما سيذهب إليه من إثارة العواطف وحفز الهمم في سبيل العودة، ومنها ما يقوم على الحيرة و الذهول ورفض الواقع الجديد الذي حدث، فيمزج الشاعر تلك المعاني بإحساسه بالهزيمة، بحيث يستطيع تجسيد حنينه أكثر مما يجسد أمله بالعودة.[4]

لقد توسع شعراء الأندلس في شعر الحنين أكثر مما توسع فيه المشارقة، وهذا راجع في الواقع إلى أمرين:[5]

أوّلـهما:

---

[1]) المرجع نفسه- ص178.

قوابلك: جمع قابلة وهي التي تتلقى الولد عند الولادة.

[2]) المرجع نفسه- ص271.

[3]) يوسف عيد- الشّعر الأندلسي وصدى النّكبات- دار العزّة والكرامة للكتاب- ط1- 1434ه/2013م- ص43.

[4]) الرجع نفسه- ن ص.

[5]) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- ص273.

التّقليد الذي يرجع إلى الشكل والموضوع دون المضمون، فمن حيث الشكل متمثلا في تقاليد القصيدة العربية القديمة، بحيث لم يكن شعراء الأندلس بدعا في التزامه، وإنّما كان التزامه اتجاها عاما لدى شعراء العرب في جميع العصور، وحيثما كانوا على أساس أنه جزء من تراثهم العربي الذي يعتزون به ويحافظون عليه، وليس في هذا الالتزام ما يعيبهم أو يعيب غيرهم من شعراء العربية، لأنّه التزام من رغبة لا شعورية بالارتباط الدائم بكل ما هو عربي، مهما تطاول الزمن وتباعدت الدّيارَ.[1]

وإذا كان الأندلسيون قد نظموا الشعر في فنونه المتعارف عليها من مدح ورثاء وغزل، فليس ذلك في حقيقته تقليدا، ففنون القول ثابتة في زمان ومكان، وغاية ما هنالك أنّ منها ما يقلّ فيه مجال القول أو يتسع، تبعا للأحداث والأوضاع المتغيّرة في المجتمعات وليست العبرة بفنون القول وإنّما هي بمدى الإجادة أو عدمها فيها.

وأمّا مضمون الشعر الأندلسي و المتمثل في تجارب شعرائه الذاتية وفيما تخلق في نفوسهم من معان و أفكار نابغة من بيئتهم الطبيعيّة و الاجتماعيّة فهو مضمون يغلب عليه سيما الحضارة و التجديد والابتكار، وفيه تتجلّى شخصية الأندلسي واضحة وما يرى فيها أحيانا من معان سبق إليها شعراء المشرق وسببه ما تسرّب إليهم لاشعوريا من هذه المعاني نتيجة دراستهم ومطالعتهم وحفظهم لأدب المشارقة وهو أمر بعيد عن السرقات الشعرية.[2]

ثانيهما:

إنّ معظم من رحلوا من الأندلس من كانوا من ذوي القلوب والأقلام الشاعرة، كما نرى من الأشعار التي تضمنتها تراجمهم، فإذا تذكرنا هذين الأمرين، أدركت السبب في الفيض الغزير من شعر الحنين الذي جاء منسوبا إليهم، ويدل في الوقت ذاته على توسّعهم في هذا النص الشعري.

وليس كالاغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه، وتعلّقه به، وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسيين سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق أم الانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس فكانوا كلّما اشتدت عليهم وطأة الاغتراب،ونالت من

[1]) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- ن ص.
[2]) المرجع نفسه- ص274.

نفوسهم فزّع الشعراء منهم إلى الشعر يبثونه توقه وحنينهم المشبوب إلى أوطانهم وأهلهم وأحبابهم.[1]

وأهم المعاني التي تدور عليها قصائد الحنين عندهم: الشوق إلى الأوطان، الحنين إلى الدّيار المقدّسة، تجاربهم الذاتية في ديار الغربة، تصوير ملاعب الصّبا، ذكر أيامهم وعهودهم السعيدة في ديارهم، المزج بين الحنين والطبيعة في صورهم الشعرية، تفضيل البقاء في الوطن مع السعي و الغنى حول الشعر ولا ننسى الشوق إلى الأهل و الأحباب.[2]

والجيّد من شعر الأندلسيين في الحنين كثير، ولكننا نكتفي منه بالنّماذج التالية للاستدلال بها على قيمة هذا الشعر عندهم من الناحية الفنية والجمالية ما يلي:

قال **أبو الحسن علي بن سعيد العنسي:**

« لمّا قدمت مصر والقاهرة أدركت فيهما وحشة أثارت لي تذكر ما كنت أعهد بحيّرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعت بها العيش غضّا خصيباً، وصبحت بها الزمان غلاما، ولبست الشباب بردًا قشيباً» فقلت

هَذِهِ مِصْرُ فَأَيْنَ المغْرِبُ؟ مُذْحَأى عَنّي فَعَيْنِي تَسْكُبُ

فَارَقَتْهُ النَفسُ جَهْلا إنّمَا يَعْرفُ الشّيْء إذَا مَا يذهبُ

أيْنَ حمْصُ؟ أيْن أَيَّامِي بهَا؟ بَعْدَهَا لمْ أَلقَ شَيئًا يُعْجَبُ[3]

ثم يمضي في وصف ذكرياته السّعيدة في وطنه حتّى إذا شفى وأشفى، انتقل إلى تصوير حالته في غربته، تصويرا حزينا مختتما قصيدته بقوله:

سَوْفَ أثْنِي رَاجِعًا لاَ غَرَني بَعْدَما جرّبتُ بَرْق حَلَبْ

و له أيضا عندما ورد مصر:

أَصْبَحْتُ أَعْترِضُ الوُجُوه ولاَ أَرىَ ماَ بَينَهُمَا وجْهاَ لمَنْ أَدْريهُ

[1]) المرجع نفسه- ص 275.

[2]) عبد العزيز عتيق – الأدب العربي في الأندلس- ص276.

[3]) أحمد شهاب الدين المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تح: إحسان عباس- دار صادر- دط- دت- ج2- ص48.

عُودي إلى بَدَني ضِلالا بَيْنَهُمْ حَتَّى كَأني من بَقَايا التّيْهِ[1]

ونجد أيضا الوزير **أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشّلبي**، فله قصيدة وصف فيها وطنه مدينة شلب وحنينه إليها، قوله:

كَسَاهَا الحَيَا بَرْدُ الشَّبَابِ فَإنّمَا بِلاَدٌ بهَا حُلُ الشَّبَابُ تمَائِمِي

ذَكَرْتُ بِهِ عَهْدُ الصّبَا فَكَأنّمَا قُدحَتُ بنَارِ الشَوْق بَيْن الحَيَازم[2]

ولا ننسى **أبا القاسم عامر بن هشام القرطبي** وأبياته تسمى **كنز الأدب** في قوله:

يَا مَنْ يُزينُ لِي التّرْحَالَ عَنْ بلَدِي كَمْ ذَا تُحَاوِلُ نَسْلاً عِنْد عَنينٍ

وَأَيْنَ يَعْدِلُ عَنْ أَرْجَاءِ قُرْطبة مَنْ شَاءَ يَظْفَرْ بالدُّنْيَا وَبالدّينِ[3]

ولعل من الأسباب التي كانت وراء توسع الأندلسيين الملحوظ في شعر الحنين لدى المشارقة, رحلات الأندلسيين إلى المشرق طلبا للعلم، خاصة أنّ من رحلوا من الأندلسيين كانوا من الكتاب والشعراء، إضافة إلى ظروف الأندلس التي كانت في حالة استنفار كونها ثغرا إسلاميا متاحا للعدو الإسباني، ممّا يتطلب المشاركة في الجهاد،[4] إضافة إلى بعد هذا القطر الأندلسي عن المشرق ممّا يعني أن يقضي المرتحل غيبة طويلة عن الوطن بغضّ النظر عن سبب الرّحلة، هل هي بقصد زيارة الدّيار الحجازية للحج و العمرة، أم التّجارة....فكان هذا يقتضي غيابا طويلا عن الوطن، مما يشعل في نفوسهم مشاعر الشوق و الحنين إليه، فكان هذا سببا في توسعهم في هذا الفن الشعري أكثر من غيرهم، حيث خلفوا هذا الفيض الغزير والذي تقدموا من خلاله على المشارقة في شعر الحنين[5].

المبحث الثّالث: أسباب ذيوع شعر الحنين:

أوّلا: الرّحلة :

[1]) المصدر نفسه- ص48-49.

[2]) المصدر نفسه- ص 210.

[3]) أحمد شهاب الدين المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- ص211.

[4]) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- ص273.

[5]) محمد رضوان- في الأدب الأندلسي- دار الفكر- سوريا- 2000م- ص131.

تعريف الرّحلة في اللّغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: رحل وارتحل والتّرحيل والارحال، بمعنى الإشخاصْ والإزعاج، يقال: رحل الرّجل، سار، ورحل رحول، وقوم رُحّل: يرتحلون كثيراً.

و التّرحّل و الارتحال: الانتقال من مكان إلى مكان آخر.[1]

وجاء في القاموس المحيط: رجل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيراً، وراحله: عاونه على رحلته و الإرتحال: الوجه الذي تقصده.[2]

نفهم من خلال المعنى اللّغوي لكلمة **رحلة** وما اشتق منها: أنّها تدلّ على الحركة والانتقال.

ثانيا: تعريف الرّحلة اصطلاحا

فتعني الحركة لغاية ما، و تلتقي مع المعنى اللغوي في اشتراك الدّلالة على الحركة والرحلة في العصر الأندلسي كانت لها مكانة عظيمة، لذا نرى المقري يفرد جزءاً من سفره النفيس للأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلباً للعلم أو لتأدية فريضة الحج[3]، وحتّى نعطي الرّحلة حقها و نبين أثرها في تطور شعر الحنين و ازدهاره لابد من جعل رحلة الأندلسيين في نوعين اثنين:

الرحلة داخل المدن الأندلسية:

ويقصد بالرّحلة الداخلية تنقل علماء الأندلس داخل الأندلس طلباً للعلم، أو لنشر علمهم، فقد كانت الرّحلة الدّاخلية مزدهرة في عصر سيادة قرطبة، **فالزبيدي** صاحب كتاب **الواضح في العربية** له شعر جميل يتشوّق فيه إلى جاريته بعد أن تغرّب عنها يقول:

مَا خَلَقَ الله مِنْ عَنَاب أَشَدُّ منْ وَقْفَة الوَداَع

ما بيْنها و الحمامُ فرقٌ لوْلا المَنَاحاتُ و النَّوَاعي

[1]) ابن منظور- لسان العرب- مادة رحل- ج13- ص297.

[2]) الفيروز أبادي- القاموس المحيط- دار العلم للجميع- بيروت- لبنان- ج3- ص383.

[3]) شعيب حليفي- الرحلة في الأدب العربي- دار الطباعة للنشر- القاهرة- مصر- ط1- 1992م- ص14.

إنْ يَفْتَرقْ شملُنا وشيكاً   من بعد ماكان ذا اجتماع[1]

خفت وطأة الرحلة في زمن ملوك الطّوائف، و لكنّها عادت وانتشرت في عصر سيادة غرناطة بسبب سقوط المدن الأندلسية و تدهور الأوضاع الأمنية، ممّا أدى إلى تأثر الشّعراء بهذه الأوضاع وأقض مضاجعهم واضطرهم للارتحال من مدنهم إلى مدن أخرى داخل الأندلس، فكان الوضع الأمني السيئ بمثابة البذرة الأولى للارتحال والاغتراب ودافعا قويا من دوافعه، يرى الدكتور **الربعي بن سلامه:** أنّ الأندلسيين ابتلوا بسقوط مدنهم وزوال دولهم في أتون الفتن و الرّحلات فيها بين المدن الدّاخلية، ومن المدن التي تفجع عليها الشّعراء مدينة قرطبة التي اجتاحتها الفتنة المبيرة سنة 399ه، و التّي رثاها **ابن شهيد وابن حزم** وغيرهما من الشعراء.

والمعروف أنّ الرّحلة في الأندلس تناولت موضوعات مختلفة في أيدي مختلف الشعراء ولكن الذي يخفف من وطأة المصاب في هذه الدويلات و المدن أنّها لم تخرج من أيدي المسلمين، وإنّما استبدلت حكاما من المسلمين بآخرين منهم أيضا، ولكن الوضع يختلف حينما يتعلق الأمر بالمدن الدّاخلية التي كانت تتساقط في أيدي الصّلبيين والتّي فقدها المسلمون إلى الأبد، فقد رثاها الشعراء بمرارة كمن فقد عزيزاً، وقد كثرت قصائدهم في هذا الباب وتعدّدت بتعدّد مآسي المدن الأندلسية وتتالي سقوطها، الذي بدأ بسقوط مدينة **بربشتر** في أيدي الصّلبيين النّورمانديين سنة56ه/1064م، ولم يتوقف إلاّ بعد سقوط **غرناطة** آخر المعاقل الإسلامية في أيدي الملكين الكاثوليكيبنا سنة 897ه/1492م[2] نتج عن ذلك قصائد قالها الشّعراء يرثون المدن بعد أن صاروا في قبضة المسيحيين، كما في سقوط دولة بني عبّاد على أيدي المرابطين التّي رثاها **ابن اللّبانة الداني** بقصيدتين مشهورتين، استهل أولها بقوله:

تَبْكي السَّماَءُ بمُزْن رائَج عَادَ   على البَهاَليل منْ أَبْناَء عَبَاد[3]

---

[1]) المقري- نفح الطيب- ج1- ص246.

[2]) الربعي بن سلامة، الأدب المغربي و الأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد- دار عالم الكتب الحديث- الأردن- 2009م- ص110-111.

[3]) ابن خاقان بن أحمد بن غرطوج، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط1،1320ه، ص 25

واستهل الثّانية بقوله:

لكُل شَيء من الأشياء ميقَاتُ   وللمُنى من مَنايَاهُنَ غَايَاتُ
وَالدَّهْرُ في صَبْغَة الحرْبَاء منغمسُ   أَلوَانُ حلّته فيها اسْتحَالاتُ [1]

كذلك في سقوط دولة بني الأغطس التي رثاها **ابن عبدون** في قصيدته المشهورة، بقوله:

الدَّهْرُ يفْجَعُ بَعْدَ العَيْن بالأَثر   فَمَا البُكَاءُ عَلَى الأَشْبَاح وَالصُّوَر[2]

فالرحلة في المدن الداخلية للأندلس تصف مختلف المناظر الطبيعية نظرا لكثرة التنقل من مكان إلى مكان فهنا نجد **ابن زمرّك** يتغنى بمغاني الأندلس، ويصف سبيكة غرناطة بأنّها تاج و الحمراء ياقوتة تعلوه يقول:

غرْنَاطَة أُنْسُ الرَّحْمَن سَاكنُهَا   بَاحَتْ سرُّ مَعانَيهَا أَغانيهَا
أَغْدى نَسيمُهُمْ لُطْفاً بنُفُوسهمْ   فرْقَةُ الطَّبْع طَبْعٌ منْهُ يُعْديهَا[3]

وهنا **إبراهيم بن الحاج النّميري** يصف قصر الحمراء و كيفية جريان الماء فيه، وجمال بحيرته ومنظر السبيكة وعجائب العصر يقول:

وَقَصْرٌ بَنَاهُ خَيْرُبَان فَلَمْ يَكُن   يُضاَهيه في الأَرْض العَريضَة منْ قَصْر
عَجاَئبُهُ فَوْقَ العَجائب إنَّها   غرائبُ لَمْ تَخْطُرْ ببَال ولا فكر[4]

وبهذا كانت الأندلس عامة متمثلة في غرناطة المجال الأوسع لتغني الشّعراء الأندلسيين الذين تركوا صدى إعجابهم بها أدبا خالدا، فكان من الطبيعي بعد هذا الحب الشديد للمدن الأندلسية بحيث عاش شعراء الأندلس ظروفا قاسية نتيجة بعدهم عن أوطانهم، فعبّروا عن شعرهم عن أسمى معاني الحب و الشّوق و الحنين إلى أوطانهم خاصة أنّ الشعور بالغربة كان يسيطر على الشاعر الأندلسي حتّى حين يرتجل من مدينته الأم إلى

[1]) المصدر نفسه، ص 32
[2]) المصدر نفسه، ص 45
[3]) المقري، نفح الطيب، ص 171
[4]) المقري شهاب الدين أحمد- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض- تح إبراهيم الأبياري- مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر- القاهرة- 1939م- ج3- **ص196**

مدينة أندلسية داخل الأندلس ممّا دفع هؤلاء الشعراء إلى نظم قصائد في التّشوق إلى مدنهم و على الرغم من أنّ المدن الأندلسية التّي حلّوا فيها لا تقل جمالا عن مدنهم.[1]

لكن السّؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي دفع هؤلاء الشّعراء إلى الارتحال عن مدنهم إلى مدن داخل الأندلس وأحيانا إلى خارجه؟ لابّد أنّ الأوضاع السّياسّية واضطراب الأحوال في الأندلس كانتا في طليعة الأسباب التّي دفعتهم إلى الرّحيل إضافة إلى ما تعرّض إليه بعضهم من اضطهاد من الحكام دفعهم إلى الخروج من مدنهم هروبا من هذا الاضطهاد أو تعرّضهم للنفي من قبل هؤلاء الحكّام، وقد يكون السبب الأقوى من ذلك كلّه تعرّض مدنهم لهجمات النّصارى، وسقوط هذه المدن الأندلسية في أيديهم، ممّا يضطر الشاعر إلى مفارقة مدينته و قلبه يعتصر ألما على فراقها، لكن قسوة الأوضاع تجبره على الرّحيل، فيرحل من مدينة أندلسية مجاورة أو يلحق بأخرى لعلّه يلقى مكانة عند حاكم هذه المدينة أو تلك، وقد تكون رحلته بإرادته كأن يرتحل في سبيل العلم مما يجعله ينتقل بين مدن الأندلس للوقوف على علمائها وقد يرتحل إلى المشرق من أجل بلوغ هذا الهدف.[2]

وممّن أمتحن بالتّغريب و التّرحال عن وطنه ‹**المريّة**› **أبو الحسن سهل بن محمد بن مالك الغرناطي**, ببغي بعض حسدته عليه, حيث وشى به بعض حساده إلى حاكم المرّية الذي أمر بنفيه وإبعاده ليحلّ في مرسية إحدى مدن الأندلس، فيصوّر حاله في غربته و رحلته هذه و تحمله الألم و العذاب و الشوق بصبر و عناد يقول:

تَذَرّعْتُ بالصَّبر الجميل و أجْلَبَتْ ... صُرُوفَ اللَّيالي كَيْ تُمَزّقَ لي دَرْعي

فَماَ مَلأتُ قَلْبي ولاَ قَبَضْتُ يَدي ... وَلاَ تحتت أَهْلي ولا هَصَرْت فَرْعي

فإنْ عَرَضَتْ لي لا يُفَوَه بهاَ فَمي ... وإنْ زَحفتْ لي لا يضيقُ لهَا ذرْعي[3]

عاش سهل بن مالك في مدينة مرسية وهي إحدى مدن الأندلس التي تتميّز بطبيعتها الخلابة والتّي تماثل طبيعة المرّية، إلا أنّه أحسّ بالغربة فهو غريب عن أهله و بلده،فشبه

[1]) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- ص 210

[2]) المرجع السابق- ص 212

[3]) ابن عبد الملك المراكشي- الذيل و التّكملة لكتابي الموصول و الصلة- تح: محمد بن شريفة- دار الثقافة- بيروت- د، ت- ج4- ص 103

حاله بحال شمامة زهر قطفت من غصنها، و أبعدت عن أمّها فباتت نائية قاصية مثله، يقول **ابن مالك:**

وَحَاملُ طيب لمْ يُطيبْ بطَيْبه وَلَكنّهُ عنْدَ الحَقيقَة طَيّبُ

تَأَلَّفَ منْ أَغْصَن آنس وَزَهْرَةٍ فَمِنْ صَفَتَيْهِ زاَهرٌ وَ رَطيبُ[1]

لقد عبّرت أبيات ابن مالك عن هموم البعد و النّوى و الحنين و الشوق إلى الوطن، على الرّغم من كونه داخل مرسية، فقد ألهبت مشاعره، فبدت نبرته حزينة شاكية توحي بحبّه و حنينه إلى وطنه، ولا ننسى الشاعر **أبو الحسن بن أحمد بن سليمان ‹ابن فركون ›** الذي رحل إلى بلاد أخلرى تاركا وراءه بلده الأم وأهله وأحبابه، فنجده يحنّ إلى بلده الصّغير غرناطة، فينظم قصيدة يودّع فيها الكثير من الأفكار التي تقال في شعر الحنين إلى الوطن، يقول **ابن فركون**:

هَلْ بَعْدَ طُولِ تَغَرُّبِي وَفُرَاَقي أرْجُو اللّقاءَ وَلاتَ حين تَلاقى

لَمّا رَحَلْتُ عَنْ المَنازِلَ لَمْ يَزِلْ سُكنى الغَرَام بقَلْبي الخَفَّاقِ

ياَحايِ الأظْعانِ مالكَ و السُّرَى الله في الرِّفْقِ الذي هُو بَاقِ[2]

في هذه الأبيات نجد ابن فركون يشكو من البعد وألم الفراق بسبب ترحاله عن بلاده و يتشّوق إلى أرضه الأم وأهله و أحبّته، كما يعلن أنّ بلاد الله الواسعة لا يمكن أن تعوّضه عن وطنه.

ومن الراحلين عن أوطانهم الشاعر الأندلسي **لسان الدين بن الخطيب**، وإن كانت غربته عن وطنه لم تتجاوز الأندلس، فقد قضى غيبته عن وطنه في جبل الفتح قريبا من غرناطة، إلاّ أنّها كانت كفيلة بتحريك جذوة الشوق و الحنين في نفسه حيث تربطه بوطنه علاقة قويّة، يقول:

سَلُوا عنْ فؤاَدِي بَعْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ وَقَدْ قَوِضَتْ عِنْدَ الصَّبَاحِ رِحَالُهُ

وَلاَ تَحْسَبوا إني سَلَوْتُ على النّوَى فَسِلْوَانُ قَلْبِي في هَواَكُمْ محاَلُهُ

[1]) المصدر نفسه- ج4- ص 104

48) ابن فركون أبو الحسن بن أحمد- ديوان ابن فركون- تح: محمد بن شريفة- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- الرباط- 1987م- ط1- ص 259

وماَ حَالُ منْ شَطَّتْ بِغَرْب دِيَارُهُ وفي الشَّرْقِ أَهْلُوهُ وَثُم حَلالُهُ[1]

و هنا ابن الخطيب يتحدث عن رحلته عن بلاد غرناطة رغما أنّها كانت بالقرب من وطنه الأم.

وكلّ هذه الآلام و المعاناة التّي عانها الشعراء بسبب الرحلات لم تكن برضاهم، بل كانت رغماً عنهم، غير مختارين هذا الرّحيل ومن بينهم: **ابن زمرّك، لسان الدين بن الخطيب، أبو الحسن سهل بن مالك، ابن فركون....**، و غيرهم من الشعراء الرّاحلين عن وطنهم الأم وهذا كله بسبب الخلافات السياسية و الفكريّة، وممّا يخفف عليهم هذا العناء أنّ غربتهم كانت في الأندلس نفسها لكن في مدن أخرى غير مدنهم التّي ولدوا و ترّبوا فيها، في حين أنّ هناك من الشعراء من ترك مدينته ليحل في مدينة أخرى من مدن الأندلس بإرادته وكان السّبب في ذلك الرّحلة في سبيل طلب العلم، وهو ما دفعه إلى التنقل بين مدن الأندلس ولعل خير من يمثل هذه الرّحلة داخل الأندلس الشاعر الأندلسي **أبو الحسن علي بن سعيد العنسي الأندلسي** صاحب ‹ **المغرب في حلى المغرب**› الذي لم يترك مدينة أندلسية و لا بلدا إسلاميا إلاّ وحلّ فيه، وسجّل فيه ملاحظاته، فكان دائم التنقل حتّى أنّه لم يتزوج لتفرغه لطلب العلم و الاستمتاع بالرحلة و هذا ما ألهب مشاعره في حلّه و ترحاله، فهو يتشوق و يتذكر وطنه الأندلسي الذي عاش فيه أيام صباه كيف لا يحن إليه وفي ربوعه قضى أجمل ذكريات الشباب، كيف لا يحن إلى مدن الأندلس العظيمة التّي درس فيها على أيدي كبار العلماء و الشيوخ، فهاهو **ابن سعيد** تنتقل به الذكرى من مدينة إلى أخرى داخل الأندلس، إشبيلية، الجزيرة الخضراء، مالقة، مرسية، غرناطة، ومن ذلك قصيدة قالها **بقرمونة** يتشوق بها إلى غرناطة وفيها:

أَغِثْنيِ إذاَ الحَمامُ المُطْرِبُ بكأسٍ بها وَسوَاسُ فِكْري يُنْهَبُ
ومِلْ مَيْلَةً حَتَّى أُعَانِقَ أَيلةٍ وَاَلْثَم ثَغْراً فيه للصَّب مَشْرَبُ
فَأَيْنَ زَمانٌ لَمْ يَخُني سَاعَةً به وَهُوَ مَنّي في التَّنَعُم أَرْغَبُ[2]

49) ابن خطيب لسان الدين- ديوان ابن خطيب- الصيب و الجهام و الماضي و الكلام- تح: محمد الشريف فاهر- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1973م- ص 572

[2]) المقري- نفح الطيب- ج2- ص 283

لقد عانى ابن سعيد نتيجة ترحاله عن وطنه غرناطة ألما شديدا وحنّ إلى أيام شبابه و أنسه فأبكاه ذلك شوقًا و حنينا إليها.

2)- الرحلة إلى المشرق و بلاد العودة:

بدأت رحلة الأندلسيين إلى المشرق منذ وضعت الحرب أوزارها حيث يمم الأندلسيين وجوههم شطر المشرق لتلقي العلوم عند المشارقة، من نحو وأدب و فقه، وقد ظلّت هذه الرّحلة حتّى نهاية عصر ملوك الطوائف، أمّا الرّحلة الثانية فبدأت عند انهيار الأندلس في الوقت الذي بدأت فيه الحضارة العربية الإسلامية في المشرق العربي بالذبول والانحدار بسبب الأوضاع السياسية على أيدي المغول و التّتار، عرفت الحضارة الأندلسية طريقها إلى القوة والخصوبة و الازدهار فقد عمل الأمراء الأمويون في الأندلس ما استطاعوا في سبيل توطيد نفوذهم، وتشييد حضارة عربية في الأندلس تضاهي حضارة المشرق العربي الإسلامي، فكان لهم الفضل في معرفة الأدب الأندلسي ووجوده.[1]

كانت الرّحلات الأندلسية إلى المشرق العربي إحدى طرق الاتصال بين المشرق و المغرب، ولم يكن هماك أي عوائق تقف أمام الأندلسيين في رحلاتهم هذه على الرّغم من الخلافات السياسية بين الخلفاء العباسيين في المشرق و الأمراء الأمويين في الأندلس، فقد كان الأندلسيون ينتقلون في المشرق العربي بكلّ حرية، بل قد يطيب لهم المقام هناك فيتخذونه مستقرا لهم كيف لا و الأندلسي ينظر إلى المشرق العربي على أنّه وطن له، وأنّه فرد من أفراده، وإذا انتقلنا إلى الفترة التّي نعرض لها قلنا أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت هؤلاء الأندلسيين إلى الخروج في رحلة ثانية إلى المشرق؟، لعلّ الأحوال العامّة في الأندلس على أيدي النّصارى أجبرت الأندلسيين على الرّحيل، اضطرّ بعضهم إلى مغادرة بلاده بعد تعرّضه للظلم من الحكام في الأندلس، فكانت رحلة قسرية ممّا أذكى نار الشوق و الحنين في نفسه نتيحة بعده عن وطنه ومنهم من خرج إلى المشرق بدافع آخر وهو طلب العلم، فكانت الرحلة في طلب العلم هي الدّافع القوي الذي جعل هؤلاء الأندلسيين يتركون

[1]) لسان الدين الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- تح: محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط1- 1974م- ص123.

بلادهم مولين وجوههم شطر المشرق العربي، وكان الحج دافعاً قويّا يربطهم بالمشرق من خلال مشاعرهم الدينيّة القوّية.[1]

ومن الشعراء المرتحلين إلى المشرق الشاعر **أبو بكر محمد بن القاسم**، من أهل وادي الحجارة ويُعرف **باشكنهاده**، ارتحل إلى المشرق لمّا نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتجول ملوكها ، فجال في العراق، وقاسى ألم الفراق واجتاز بحلب وأقام بها مقام غريب لم تصف له حلب، فقال يصف حاله في الغربة وما يتعلّق بحنينه إليها:

أَيْنَمَا أَقْصَى الغَرْبُ مِنْ أَرْضِ حَلَبْ　　　أَهْلٌ فيِ الغَرْب مَوْصُولُ التَّعبْ

حنَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَوْطَانِهِ　　　منَ جَفأة صَبْرُهُ لَمَّا اغْتَرَبْ

جَالَ في الأَرْضِ لُجَاجاً حَائراً　　　بَيْنَ شَوْقٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبْ[2]

لكن كيف كانت نظرة **أبو بكر محمد بن القاسم** للمشرق الأبد أن تكون له مكانة في نفسه على الرّغم مما عاناه من ضياع بسبب بعده عن وطنه، و الدّليل على ذلك ما قاله في حق دمشق حين غادرها يقول:

دِمَشْقُ جَنَّةُ الدُنْياَ حَقيقًا　　　وَلَكنْ لَيس تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ

بهَا قَوْمٌ لَهُمْ مددٌ وَمَجْدٌ　　　وَصُحْبَتْهُمْ تَؤُول إلى حُرُوبِ[3]

وبعد خروجه من دمشق توجه إلى دانية، قال **المقري** صاحب النفح في ذلك: ‹ ثمّ إنّه ودّع الشرق بلاسلام، وحلّ بحضرة دانية لدى ملكها مجاهد العامري في بحبوحة نّمر، لا يخشى فيه ملام، واستقبل الأندلس بخاطر جديد، ونال بها بعد من بلوغ اللآمال ما ليسله عليه مزيد›[4]، وهنا يقول **أبو بكر**:

لاَ تَسْأَلُوني عَنْ فرَاقَ جَهَنَّمْ　　　وَلَكنْ سَلُوني عَنْ دُخُولي إلى عَدَنْ[5]

---

[1]) المصدر السابق- ص 124.

[2]) المقري- نفح الطيب- ج2- ص 95

[3]) المقري- نفح الطّيب- ج2- ص 96.

[4]) المصدر نفسه- ص 96.

[5]) المصدر نفسه- ص

فالمشرق بالنسبة للشاعر بمثابة جهنم، بينما الأندلس وطنه تحديدا جنّة عدن، ومن الشعراء الذين ارتحلوا إلى المشرق الشاعر الأندلسي **محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري**، يكنّى **أبا عبد الله**، استقر به المقام في الشام بعد رحلة طويلة جاب خلالها عدّة أقطار بصحبة رفيقه **أبي جعفر الألبيري** حتّى استوطن مدينة حلب من الشام ودرس بها العلوم، ومدح بعض أمراء المشرق وله موشحات كثيرة ومدائح جيّدة في الصحابة وآل البيت، جمعه برفيقه أبي جعفر الشوق و الحنين إلى بلديهما يقول **ابن جابر**يتشوّق إلى وطنه المريّة:

لله عَيْشُ بِالمَرِيَّة قَدْ ذَهَبْ ... أَخْبَارُهُ بِالحُسْنِ تُكْتَبُ بِالذَهَبْ

وَهُبَتْ لَنَا تِلْكَ اللَّيَالي مُدَّة ... ثُمَّ اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنَا ماَ وَهَبْ[1]

وقال **الألبيري** متشوقا لغرناطة مع أمله في العودة إليها:

ذَابَتْ عَلى الحَمْراءِ حُمْرُ مَدامِعي ... وَالقَلْبُ فيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ذَائِبُ

طَالَ المَدَى بي عَنْهُمْ وَلَرَبَّما ... قَدْ عادَ مِنْ بَعْدِ الإِطَالَةُ غَائبُ[2]

يوضّح الألبيري من خلال هذين البيتين شدّة معاناته وألمه على فراق غرناطة، حيث تساقطت دموعه غزيرة على فراق قصر الحمراء، وذاب قلبه من شدّة حبّه لها، فقد طال بعده عن وطنه غرناطة ولابّد أن يكون لقاءه بوطنه بعد هذا الفراق.

و هاهما ابن جابر و الألبيري يتحسّران على الأيام السّعيدة التي قضاها كل منهما في وطنه و لكنّها لم تدّم لأن دوام الحال من المحال.

ومن المرتحلين من الأندلس إلى المشرق الإمام النّحوي اللّغوي نورالدين **أبو الحسن علي بن أحمد بن حمدون الحميدي الأندلسي المالقي** الذي ارتحل إلى المشرق و أحسّ بالغربة و البعد عن الوطن وشدّة الشوق إليه ويرى أنّ أسعد أيامه ستكون إن قدرت له العودة إلى وطنه في ذلك:

فَرَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغْ المُنَى ... وَدُون مُرَادي أَبْحُرٌ وَهِضَابُ

قَضَى زَمَنِي وَ الشَيبُ حَلَّ بِمَفْرَقِي ... وَأَبْعَدُ شَيء أَنْ يَرُد شَبَابُ

[1]) المقري- نفح الطيب- ج 2- ص 300.

[2]) محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع- نهاية الأندلس- مكتبة الخانجي- القاهرة- ص 466.

وَفارَقْتُ مِنْ غَرْبِ البِلاَدِ مُوَاطِنًا فَسَقَى رُبَى غَرْبَ البِلاَدِ سَحَابُ[1]

و ممن غادر الأندلس ولم يعد إليها إلى آخر حياته **أبو إسحاق ابراهيم الساحلي** المعروف **بالطويحن**، فقد رحل إلى المشرق، حين التقى بالسلطان المالي الذي اصطحبه إلى بلاد السودان الغربي، فمكث هناك حتى توفي سنة سبع وأربعين و سبعمائة، وله رسالة إلى أهل غرناطة تعبّر عن شوقه الشّديد إلى بلاده و تعلّقه بها، وكان قد كتبها حين وصل المغرب حيث كانت أمامه فرصة العودة إلى بلاده إلاّ أنّ وفاءه لسلطان السّودان منعه من ذلك يقول في ذلك: **‹ هَذَا شَوْقِي يَسْتَعِيرُهُ البُركَان لِنَارِهِ، ووَجْدي لاَ يَجْرِي قَيْسٌ فِي مِضْمَارِهِ، فَما ظَنُّكَ وَقَدْ جَمْتُ حَوْلَ المَوْرِدِ الخَصِرْ، وَنَسمْتُ رُمْحَ المُنْبَتِ الخَضَرْ وَنَظَرْتُ إلَى تِلْكَ المَعَاهِدَ مِنْ أُمَمْ.....›.** يقول:

وَيَا لله مِنْ شَوْقٍ حَثيثٍ وَمِنْ وَجْدٍ تَنَشّطَ بِالصَّمِيمِ
إذَا مَا هَاجَهُ وَجْدٌ حَديثٌ صَبَا مِنْهَا إلَى عَهْدٍ قَديمِ[2]

ويقول متشوقا إلى بلاده و معاهد صباه:

هَذَا وَمَا نَجْدِيَّهُ قَدْ عَارَضَتْ قَالَ العَقيقَ وَطَلْعه المخْضُودِ
أَوْعَارَضَتْ شَوْقِي وَدَمْعِي سَاءلَتْ عَنْ بَرْقِهِ وَسَحَابِه المَوْرُودِ[3]

بعد أن عاد من المغرب استقرّ في بلاد السودان زمنًا طويلاً، وكان الدافع لرحلته هو الغنى والشهرة.

وهذا **ابن الآبار** يفارق بلنسية بعد احتلال النّصارى لها، ليستقر في تونس، ولكنّه حين يغادر وطنه يخلق قلبه فيه مصطحبا شوقه وألمه، على الرّغم ممّا ينتظره من حياة كريمة في تونس، ولكن لا يشعر بالسّعادة مادام بعيدا عن وطنه يقول:

يَا أَهْلَ وُدّيِ لاَ أَرُومُ تَدَانِيَا مِنْكُمْ وَدَارُكُمْ تَبَيَنُ وَتَنْزَحُ
إنْ كَانَ جِسْمِي شَطَّ عَنْ مَثْوَاكُمْ فَالقَلْبُ ثَاو بَيْنَكُمْ لاَيَبْرَحُ[1]

[1]) عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- ص 276.
[2]) ابن خطيب- الإحالة في أخبار غرناطة- ص 333
[3]) يوسف اسماعيل بن الأحمر- شير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان- تح: محمد رضوان الدّاية- دار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع- 1967ه- ص 211

يتّضح من الأبيات مدى حب ابن الآبار لوطنه، و إن كان لآبد من الرّحيل فقد رحل بجسده وخلّف قلبه في وطنه لا يفارقه.

وهذا **ابن زمرّك** الذي اضطرته الظّروف السياسية إلى الخروج إلى فاس بعيدا عن بلده غرناطة، فأحسّ بالغربة بعيدا عنها فبعث بأبيات له إلى الغنى بالله يقول:

أَبلغْ لِغَرْنَاطَةَ سَلاَمِي وَصِفْ لَهَا عَهْدِي السّلِيمِ

فَلَوْ رَعَى طَيْفُهَا ذَمَامِي مَابِتُّ فِي لَيْلَةِ السَّلِيمِ

أَذْكُرُ أَنَّني بَغَاس أُكَابِدُ الشَوْقَ وَ الحَنِينْ

أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسي وَ اليَوْمَ في الهول كَالسنين[2]

يتشوق ابن زمرك إلى وطنه غرناطة حيث ابتعد عنها حين خرج إلى فاس، فيحمل سلامه إليها، ويطلب إلى حامل هذا السّلام أن يخبرها بأنّه وفيٌّ بعهده لها وحبّه لها، كذلك يطلب إليه أن يبلغها حاله في مدينة فاس، وما يعانيه نتيجة بعده عن أهله و أحبابه وعن أولاده.

ومن الشعراء المرتحلين من الأندلس إلى المشرق وإلى مصر بالذّات **أبو حيان الغرناطي**، حيث رحل عن الأندلس خائفا يترقب، فشعر بالشوق إلى الأندلس، فقال يعبّر عن تعلّقه وحنينه إلى موطنه ومسقط رأسه:

يَا فُرْقَةَ أَبْدَلَتْني بالسُّرُور أَسَى وَأَسْهَرَتْ نَاظِرًا قَدْ طَالَ مَا نَعَسَا

أَنّى يَكُونَ اجْتِمَاعٌ بَيْنَ مُفْتَرِق جِسْمٌ بِمصْرِ وَرُوحٌ حلَّ أَنْدَلُسَا[3]

ويؤكد هذا المعنى بأنَّ جسمه في مصر وروحه في الأندلس، ومن المرتحلين أيضا من الأندلس الشاعر الغرناطي **إبراهيم بن الحاج النّميري**، ارتحل من الأندلس بإرادته متوجها إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فحجّ و تطوّف ثم ارتحل إلى إفريقيا ومنها إلى بلاد العودة، ثم استقرّ ببجاية ثمّ تركها إلى فاس وهاهو يحّن إلى بلده ومسقط رأسه مصوّرا معاناته في الغربة وحزنه على فراق وطنه يقول:

[1]) يوسف الطّويل- مدخل إلى الأدب الأندلسي- ص141.

[2]) محمد بن يوسف الصّريحي- ديوان ابن زمرك- تح: أحمد سليم الحمصي- المكتبة العصرية- بيروت- 1998م- ص 180.

[3]) أثير الدين أبي حيّان- ديوان أبي حيّان- تح: أحمد مطلوب- مطبعة عاني- بغداد- ط1- 1969م- ص 224.

أَقُولُ وَحَمْراءُ غَرْنَاطَةَ تُشوِّقُ النُفُوسَ وَتَسْبِي المُهْجَ
أَلاَلَيْتَ شِعْرِي يطُول السُّرَى أَرَتْنَا الوَجَى وَاشْتَكَتْ بالعَرَجِ[1]

فعلّى الرّغم من أنَّ رحلته كانت اختيارية إلاّ أنّه حنَّ إلى وطنه حين ابتعد عنه، وآثر الإقامة في بلاد العودة وكان بإمكانه أن يعود إلى وطنه.

وعليه فالرحلة خارج الأندلس سواء إلى بلاد العودة أو بلاد المشرق أثّر في نفوس أبناء الأندلس الذي خلفوا وراءهم أهلا ووطنًا هناك, والرحلة مهما اختلفت أسبابها يبقى لها أثر عميق في نفوس المرتّحلين، خاصة حين تتغيّر عليهم ظروف المعيشة في المشرق عمّا كانت في الأندلس وما يتلقونه، من سوء المعاملة من المشرقيّين، والغاية الكبرى لدى الشعراء الأندلسيّين من شعر الحنين أنّه مهما ابتعدوا وفارقوا أوطانهم تبقى قصائدهم نابغة من القلب و الوجدان للوطن الأم.

ثانيا: الابتعاد و الاعتقال:

كانت السياسة سببا رئيسا من أسباب السّجن، بل هي الدّافع الأقوى الذي من خلاله زج بالكثير من الشعراء الأندلسيين في السجون والمعتقلات فهذه القضية هي من أخطر القضايا التّي تواجه الإنسان في حياته كلّها، و التي تخلّف الحسد و الدّسائس و المؤامرات، وتنتهي بصاحبها إمّا إلى القتل أو الإغتيال أو إلى السجن أو إلى المنفى، فالسجين أو الأسير يعاني الكثير من الناحيّة الجسدية و المعنوية في سجنه، ويطغى عليه الشعور بالذّل و المهانة، فالسّجن مأساة حقيقية حطّمت نفوس أصحابها، ولاسيما الشعراء الذين يجدوا في سجونهم إلاّ الشّعر يعبّرون من خلاله عن همومهم ومآسيهم.[2]

تكاد السنوات الأولى من دخول العرب إلى الأندلس تخلو من شعر السّجن و الأسر لاسيما في المرحلة الأولى في الإمارة الأموية في الأندلس، حيث استطاع الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل أن يقضي على الكثير من الفتن و الاضطرابات هناك، وأن يبني دولة أمويّة قويّة، لكن سرعان ما بدأت نار الفتنة تشتعل من جديد، ففي عهد عبد الرحمن الثاني ظهر

[1]) لسان الدين بن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- ص348.
[2]) رشا عبد الله الخطيب- تجربة السجن في الشعر الأندلسي- رسالة ماجستير- إشراف: د. هاني العهد- 1996م.

الشاعر الحكم الغزال الذي تمرّد على أميره و رفض دفع الأعشار التّي كلّفه الأمير بجمعها، فكان هذا سببًا في إيداعه السجن بسبب عصيانه.[1]

وقد اشتّد الصّراع الدّاخلي و اشتدت الفتن في قرطبة، وظهرت الصراعات بين ملوك الطوائف، فعلّى الرّغم من أنّ عصر ملوك الطّوائف شهد ازدهارا من الناحية العلمية و الأدبية إلاّ أنّه العصر نفسه الذي سجن فيه الملوك و الأمراء، كما شهد ظهور العديد من الشعراء الكبار أمثال: **ابن عمارو ابن زيدون** وغيرهما، هذان الشاعران كانت لهما مكانة سياسية ولكن بسبب الوشاة و الحاسدين فقد زجّ بكل منهما في السجن ممّا جعلهم يذوقون مرارة العيش فيه.[2]

لقد دخل عدد كبير من الشعراء الأندلسيّين السجن لأسباب سياسية برزت من خلال عدم رضى بعض الشعراء عن حكامهم حيث قاموا بهجاء هؤلاء الحكام وتحقيرهم، كما وجد من الشعراء من لم يكن له أي ولاء للحكام في بلده فكان ذلك سببا في اعتقاله وسجنه، وهناك من الشعراء من اتّهم بالزندقة أو الضعف في الدّين، فكان هذا سببا آخر في تعرّضهم للسجن و الاغتيال، فلقد أدخل السجن على نفوس الشعراء الكآبة و الحزن و اللّوعة، وكان لابّد أن تنطقهم هذه المشاعر و الأحاسيس بالحنين الصّادق الذي يمتزج فيه الحنين إلى الأهل بالحنين إلى الوطن بحيث لا يمكن الفصل بينهما.[3]

ساعدت الظروف السياسية على ذيوع شعر الحنين في السجن و الأسر لدى الشعراء عامة في المشرق و الأندلس، **فالمتنبي** واحد من شعراء المشرق الذين سجنوا لمواقفهم السياسية فقد سجن المتنبي لرفضه الذّل و القهر، ولم يعبأ بالسجن بل ظلّ محتفظا بكبريائه رغم إهانة السّجان وقد ظهر هذا واضحا جليّا في شعره، ثم ما لبث أن دبّ اليأس إليه، يقول **المتنبي:**

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاع الرّجاَ ... ءِ، وَالمَوْتُ منِّي كَحَبْلِ الوَرِيدَ

---

[1] فاضل فتحي محمد والي- الفتن و النكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي- دار الأندلس للشعر والتوزيع- السعودية- 1996م- ط1- ص35

[2] المرجع نفسه- ص 77.

[3] عبد العزيز الحلفي- أدباء السجون- دار الكتاب العربي- بيروت- ص160.

دَعوْتُكَ لَمَّا بَرانَي البَلاءُ   وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقَلَ الحَدِيدِ[1]

لقد طال عهد المتنبي بالسجن، فضاق به درعاً، وثقل عليه بعد أن حرم من حريته، وهو الشاعر الطموح، و السياسي المحنك، فلم يجد إلاّ الشكوى يصف من خلالها محنته وقد دبّ اليأس إليه و انقطع الرجاء و شارف على الموت.

ومن شعراء المشرق الذين سبقوا المتنبي وعانوا مرارة السّجن الشاعر **أبو فراس الحمداني**، الذي عانى كثيرا من أسره في بلاد الرّوم، فعلى الرغم من الظروف القاسية التّي أحاطت به إلاّ أنّها لم تنل من كبريائه فلن يضعف أمام أعدائه على الرغم من غربته عن وطنه و أهله، وإن برزت نبرة الشكوى في شعره فهي مغلّفة بالفخر ليظهر من خلالها بأنّ الأسر لم يتل منه يقول:

مُصَابي جَليلٌ و العَزَاءُ جَميلٌ   وَظَني بأَنَّ الله سَوْفَ يُديلُ

جِراحٌ وَأَسْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغُرْبَةٌ   أُحَمّلُ إنّي بَعْدَهَا لَحَمُولُ[2]

فعلّى الرّغم من مصابه في الأسر إلاّ أنّه صابر محتمل لكن تبعات السجن من جراح واشتياق لأهله وغربة عنهم، هذه الجراح التي عجز عنها الأطباء.

ومن الأندلسيّين الذين زُجّ بهم في المعتقلات و السجون لأسباب سياسية، الشاعر الأندلسي الطّليق **مروان بن عبد الرحمن النّاصر**، أمير أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث انقسمت حياته إلى ثلاث مراحل ستة عشر عاما قبل إيداعه السجن، وستة عشر عاما في السّجن، وستة عشر عاما عاشها بعد العفو و الصفح،[3] واختلفت الرّوايات حول سبب سجنه لكن الأرجح أنّه سجن بسبب قتله لأبيه حين ضبط والده في خلوة مع جارية كان يعشقها، فسجن الطّليق أيّام المنصور وفي سجنه نظّم أبياتا يصوّر معاناته منها:

أَلاَ إِنَّ دَهْرًا هَدِمًا كُلَّ مَانَبْني   سَيُبْلَى كَمَا يُبْلَى وَيُفْنى كَمَا يُفْني

---

[1]) ديوان المتنبي- شرح العبكري- تح: مصطفى السقاو ابراهيم الأبياري- دار المعرفة- بيروت- 1978م- ص 24.

[2]) أبو فراس الحمداني- ديوان الحمداني-تق: عباس عبد الساتر- دار الكتب العلمية- بيروت- 1993م- ط3- ص313.

[3]) أميليو غارثيا غومث- مع شعراء الأندلس و المتنبي- ترجمة: حسين مؤنس- مكتبة النهضة المصرية- 1969م- ص 72.

وَمَا الفَوْزُ في الدُنْيَا هوا لفوز إنَّمَا يَفُوزُ الفَتَى بالرجْح فيها مَعَ الغُبْنِ[1]

ومن خلال الأبيات نلاحظ أنّ الشاعر متشائم، سوّدت الدنيا وجهه، ويبين لنا أنّ الحياة متقلبّة لا تستقر على حالها، وأنّ نهاية كل شيء هو الفناء ولا يدوم إلاّ وجه المولى عزّوجل.

ومن الشخصيات السّياسية المهمة التي تعرضت للاعتقال و الإبعاد عن الأندلس الملك الشاعر **المعتمد بن عباد** الذي كانت نكبته مضاعفة، حيث فقد ملكه و ثروته، وحمل مأسورا مكبّلا بالقيود و الأغلال إلى بلد غير بلده و شرد أولاده، وقتل منهم من قتل وبيعت بناته في الأسواق، سجن في أغمات في المغرب ولم يرحمه يوسف بن تاشفين الذي كان بمثابة صديق له حتّى مات في سجنه.

لقد خلّف المعتمد بن عباد شعرا يعدّ ترجمة صادقة لحياته في المعتقل، يفيض بالألم والحنين والأسى، يصوّر مرارة السّجن والأسر، ومتاعب النّفي وآلامه، ومن شعره الذي يعكس هذا كلّه قوله:

تَبَدَّلْتُ منْ عِزٍ ظَّل البُنُودِ بَذَلِ الحَديدِ وَثقلِ القُيُودِ

وَكَانَ حَديدي لسَانًا ذَليقًا وَغَضْبًا رَفيقًا صَقيلَ الحديدِ[2]

فالمعتمد قد تبدّلت حالته من حياة القصور و العز والقوة والبطولة والمال إلى ذلّ القيود وثقلها وألمها،فحياة الأسر والسّجن حياة ذليلة لا مكانة ولا معنى لها.

ومن الشعراء الذين ذاقوا مرارة السجن و الأسر والإبعاد عن الوطن، الشاعر الأندلسي **عبد الكريم القيسي**، ولد الشاعر في بسطة، وتنقل في طلب العلم، ثم هاجر بعد ذلك طلبا للرزق، حيث اشتغل مؤدبًا وإمامًا في برجه، ثم خرج من بلده فرارا من الظلم و العدوان، لكنّه لم يستطع فراق أهله فمكث في بلده باكيّا على حظّه، وشكا ما وقع عليه من ظلم إلى ذوي السّلطان، لكن لم يرفع عنه الظّلم فتوجّه بالدّعاء والابتهال إلى الله تعالى، ولمّا اشتدت عليه وطأة الحاجة وكثرت مطالبه ومطالب عياله اضطر إلى بيع كتبه، لقد تنقل من مدن أندلسية لكن الغريب أنّه لم يدخل غرناطة، وفي أثناء تنقله أسره النّصارى، ومكث في

[1]) ابن الآبار- الحلّة السّيراء- تح: حسين مؤنس- الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة- 1963م- ج1- ص221.

[2]) فاضل فتحي محمد والي- الفتن و النكبات الخاصة- ص293.

أسره طويلاً وتعرّض للذّل، فنّظم الكثير من الشعر عبّر من خلاله عن شوقه إلى أهله وأحبّته وشوقه إلى دياره ووطنه بسطة، يقول في أسره:

إنّي فَضَضْتُ عَنِ الدُّمُوعِ خِتَامًا   فَغَدَتْ تَسِيلُ بِوَجْنَتِي غَمَاما
شَوْقٌ إلى عَيْشٍ مَضَى بأَحبَّةٍ   كانوا وعَيْشُهُم عَلَيَّ كَرَاما
يَاسَاكِنين ببَسْطَةَ دُوني،وَلِي   قَلْبٌ بِهِمْ مَا يَسْتَفيقُ غَرَامًا[1]

فالشاعر القيسي يبكي في أسره على أهله وأحبّته الذين فارقهم في بلده بسطة، فقلبه ينفطر شوقا إليها وإلى بلده بسطة، التي فارقها مخلّفا وراءه قلبه وروحه فيها لاتفارقها، كان حنين القيسي إلى وطنه بسطة يفوق كل حنين لدى الشعراء الأندلسيين لقد تعلق بها وصوّرها بصورة تفوق كل تصوير وهو في ربوعها فكيف سيكون حاله وهو بعيد عنها في السّجن يقول في وصف جمال بلاده بسطة:

بِلاَدٌ بِهَا الحَصْبَاءُ دُرٌ وَتُرْبُهَا   عَبيرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّياَحِ شَمُولُ[2]
تَسَلْسَلَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ   وَصَحَ نَسيمُ الرَّوْضِ وَهُو عَليلٌ

فهاهو يشبّه حصاها بالدر و الياقوت، وترابها لها عبق وعبير كعبير الورد، كما مياه بلاده الصافية ونسيمها العليل بأوصاف في غاية الجمال، فكيف لا يحنّ إليها إذا ابتعد عنها وخاصة إذا كان بين جدران السّجن مقيّدا لا يستطيع الخروج.

إلى هنا من خلال تتبّعنا لبعض الشعراء الأندلسيين الذين تعرضوا للاعتقال والسجن والأسر والإبعاد، لمسنا مدى المعاناة التي عاشها هؤلاء الشعراء في سجونهم، فسواء كانوا داخل الدّولة أو بيد الأعداء فقد ذاقوا مرارة السّجن وقسوته، وتعرّضوا لعذاب نفسي وجسدي، إضافة إلى ثقل القيود و الأغلال وما يجبرون على القيام به من أعمال شاقة لا تتحملها النفس البشرية، حيث يعاملون معاملة الحيوانات كل هذه المعاناة التي تعرّض لها هؤلاء الشعراء انعكست على أشعارهم، ودفعتهم إلى نظم الشعر الذي وصفوا من خلاله هذه المعاناة.

[1]) عبد الكريم القيسي- ديوان عبد الكريم القيسي- تح: جمعة شيخة- بيت الحكمة قرطاج- 1988م- ص 102.
[2]) المصدر السابق- ص 103.

والأهم من ذلك أنّهم نظموا أشعارا رقيقة في الحنين إلى أوطانهم التي أبعدوا عنها، وإلى أهاليهم وأحبّتهم الذين خلفوهم وراءهم في الوطن، فكان الاعتقال و الإبعاد من الأسباب التي كانت وراء ذيوع شعر الحنين في الشعر الأندلسي.

المبحث الرابع: موضوعات شعر الحنين

أوّلا:

الحنين إلى الوطن:

الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية لا يستطيع المرء أن يتخلّى عنها،مهما بلغ رقيّه الحضاري وتطوّره المادي وسموّه الروحي[1]، لأنّه منذ عرف الانسان الوجود وعرفه الوجود، ملتصق ببيئته لا فكاك له منها، وكادت الصّلة بينه وبين بيئته أن تكون أوثق من صلته بأسرته، فهو ينسب إلى أسرته كما ينسب إلى بيئته، ويستفيد صورته من بيئته، كما يستفيدها من أسرته.[2]

وصوّر القرآن الكريم ظاهرة حبّ الوطن والتمسّك به تصويرا قويا حين جعل الخروج من الدّيار وقتل النّفس متساويين، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِم أَنْ قْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلاّ قَليلٌ مِنْهُمْ﴾**[3]

وحنّ الأنبياء إلى أوطانهم، **فيوسف عليه السّلام** لمّا أدركته المنية أوصى أن تحمل رمّته إلى مقابر آبائه، فمنع أهل مصر أولياء يوسف من حمله، فلمّا بعث الله **موسى عليه السلام،** وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم حمل رمته إلى تربة **يعقوب** إلى الشام.[4]

وكذلك **يعقوب** مات بمصر فحملت رمته إلى إيليا، وهناك قبر **إسحاق بن ابراهيم عليهما السّلام**، ويذكر الجاحظ أنّ بعضا من بني إسرائيل كانوا يتمسكون بوطنهم في حياتهم وبعد مماتهم يقول:‹ ومن تمسّك من بني إسرائيل عليه السلام بحبّ الوطن خاصة ولد هارون، وآل داوود عليهما السّلام، لم يمت منهم ميّت في إقليم بابل في أي البلدان مات إلاّ نبشوا قبره بعد حول وحملت رمته إلى موضع يد عن الخصاصة بالشام وإذا حال نقل إلى بيت

[1]) محمد حوّر- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي- دار نهضة- مصر- القاهرة- ص18.

[2]) ابراهيم الأبياري- الوطن في الأدب العربي- دار القلم- القاهرة- 1962م- ص 03.

[3]) سورة النساء- الآية 66.

[4]) أبو عثمان عمر بن الجاحظ- الحنين إلى الأوطان- تح: عبد الفتاح قبلان- مطبعة المنار- مصر- ط1- 1986م- ص 35.

المقدس[1] و الرّسول صلّى الله عليه وسلم كان كثير الحنين إلى وطنه،حتّى أنّه اغروقت عيناه حين سمع أحد الصّحابة يصف له مكة، ويقول حين يسأله الرّسول، كيف تركت مكّة؟ تركتهم وقد حيدوا وتركت الأذخر* وقد أغدق.

ومنذ القدم ارتبط الشوق والحنين بالوطن فصار الحنين إلى الأوطان شائعا في كلّ العصور سواء للوطن و القبيلة و الحي أم الشعب و الأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحبّ وحنين[2]،وعرّف العربي حبّ الوطن و الحنين إليه منذ أقدم العصور والأزمان، فصوّر الشّعر العربي أشواق الشعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومربعهم ومرتع صباهم يقول **عنترة:**

أَحْرَقَتْنِي نَارُ الجَوَى وَالبُعَادِ   بَعْدَ فَقْدِ الأَوْطَانِ وَالأَوْلاَدِ[3]

إنّ البداية الحقيقية لغرض الحنين في الشّعر كانت في بداية عصر الدّولة الأموية في الأندلس نتيجة الابتعاد عن الوطن، ثم تطور وازدهر في العصور اللاّحقة ولاسيما لدى الأندلسيين، فإذا كان للمشارقة فضل السّبق في الحنين فإنّ الأندلسيين توسعوا فيه أكثر منهم، من حيث الوفرة وقوّة العاطفة، ولعلّ السبب في ذلك مرده إلى الأحداث السياسية في الأندلس وسقوط معظم المدن الأندلسية على يد الملوك الإسبان.[4]

لذا فقد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا مرحلة البعد و الحنين إلى الوطن، ممّا جعلهم يذوقوا مرارة الضياع

و التّشتت فمنهم من نزل بالمغرب ومنهم رحل إلى المشرق، فكانت تجربة الحنين عميقة في نفوسهم، وقد ظهر شعر الحنين في الأندلس ليصوّر أحوال الأندلسيين في مواطنهم الجديدة التي هاجروا إليها.[5]

---

[1]) المرجع نفسه- ص36-37.

* الأذخر: نبات طيب الريح، ينظر: ابن منظور- لسان العرب- ص 110.

[2]) يحي الجبوري- الحنين و الغربة في الشعر العربي- دار مجدلاوي- عمان- ط1- 2008م- ص10.

[3]) المرجع نفسه- ص11.

[4]) فوزي سعد عيسى- في الأدب الأندلسي- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- 1999م- ص26.

[5]) المرجع نفسه- ص

وقد عبّر أحد الكتّاب الأندلسيين الذين هاجروا إلى إفريقيا بعد ضياع معظم المدن الأندلسية عن حياة البؤس والشّقاء التي آل إليها أغلبية المهاجرين الأندلسيين و قال:‹ إن قوما من الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس و تركوا الدور و الأرض و الجنات وندموا على الهجرة بعد وصولهم إلى دار السلام,و تسخطوا و زعموا أنهم وجدوا الحالة عليهم ضيقة›

فالوطن الأندلسي كان يحظى بمكانة مقدسة لدى أهله و سكانهم و كان الأندلسيين حريصين على البقاء في موطنهم إلاّ أنّ الظروف أخرجتهم منه خاصة بعدما سقطت معظم مدن الأندلس إذ ميزت حياتهم اليومية معاناة الشقاء و البحث المستمر عن القوت و الأمن و الاستقرار[1].

و هنا نجد **ابن شهيد** يرثي قرطبة ويشكو حنينه إلى مجدها في قصيدة تفيض حنينا يقول:

فَلِمِثْلِ قُرْطُبَة يَقِلُ البُكَاءُ مِنْ ... يَبْكي بِعَيْن دَمْعُهَا مُتَفَجّر

دَارَ أَقَالَ اللهُ عَثْرَةَ أَهْلَهَا ... فَتَبَرْبَرُوا وَتَغَرَّبوا وَتَمصّروا

فِي كُلِّ نَاحية فَريقٌ مِنْهُمْ ... مُنْفَطِرٌ لِفُرَاقها مُتحَيّرُ[2]

فالشّاعر في هذه الأبيات يبكي قرطبة ويصف حالها بعد الخراب، فقد تشتّت الأسر وانتشر الفقر وهذا الأمر أثر في نفسية الشّاعر لأنّه يحبّ وطنه ولا يقبل له الهوان خاصّة وأنّ قرطبة كانت قبل سقوطها في أوج الازدهار والمجد، ويقول **ابن حزم** حين وقف على منازل أهله ورآها وقد طمست أعلامها وخفيت معاهدها وغيرها فصارت صحاري كالتالي:

سَلامٌ عَلَّى رَحْلِنَا وَعَوْدَتْ ... خَلاَءُ مِنْ الأَهْلَيْنِ مُوحَشَةُ فَقْرَا

تَرَاهَا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بالأَمْسِ بَلْقَعَا ... وَلاَ عَمَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَبْلَنَا دَهْرَا

وَلَكِنْ أَقْدَراَ مِنَ الله أَنْفَذَتْ تَدَمَرا ... طَوْعًا لِمَا حَلَّ أَوْ قَهْرًا[3]

[1]) فوزي سعد عيسى- في الأدب الأندلسي- ص 27 .

[2]) إحسان عباس- تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة- ص 139.

[3]) المرجع السابق- ص-ن.

إنّ ابن حزم من خلال هذه الأبيات مفزوع لما أصاب وطنه، يصوّر لنا من خلال شعره ما عرفته الدّيار من خراب ولأنّ سكانها هاجروا منها فبدت موحشة لخلائها من سكانها ودمار معالمها.

ونجد أيضا الشاعر الأندلسي **أبو بكر محمد بن قاسم**، الذي رحل إلى المشرق لما نبت به قرطبة عند تقلّب دولها، فجال في العراق وأقام بحلب ثم غلبه الشّوق فحنّ إلى وطنه وأهله، وقد صوّر لنا المهانة التي يلقاها الغريب داعيا قومه للاتّعاظ بما قاسى إذ يقول:

أَيْنَ أَقْضي الغَرْبَ مِنْ أَرِض حَلَبْ   أَمَلُ في الغَرْبِ مَوْصُولُ التَّعَبِ

حَنَّ مِنْ شَوْقِ إلى أَوْطَانِهِ   مِنْ جَفَاهُ صَبْرُهُ لَمَا اغْتَرَبَ

جَالَ في الأرْضِ إلحَاحًا حَائِرًا   بَيْنَ شَوْقٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبْ[1]

ونفهم من هذه الأبيات أنّ الشاعر مهما ابتعد عن وطنه حنّ إليه واشتاق له ولأهله، وهذا ممّا أدى به إلى كتابة هذه الأبيات التي فيها حكمة ومنفعة.

وقد ميّز أشعار الأندلسيين المغتربين عاطفة الحزن و الأسى العميق، فيظهر لنا الشوق في ثنايا القصائد ويصاحبه حنين جارف إلى تلك الدّيار، مختلطا بالبكاء وبالأمل في العودة إليها، ولكن اليأس أغلب **ولأبي مطرف بن عميرة** قصيدة يرثي فيها بلنسية بعد سقوطها ويذكر أيضا جزيرة شقر وهي موطنه، فيصف حنينه إلى شقر في أبيات تشق عن أسى عميق وشوق قاتل يقول:

يَحِنُّ وَمَا يَجْدِي عَلَيْهِ حَنينُهُ   إلى أرْبع مَعْرُوفُهَا مُتَنَكِرٌ

ويَنْدُبُ عَهْدًا بالمَشْقرِ فَاللَّوَى   وَأَيْنَ اللَّوى مِنْهُ وَأَيْنَ المَشْقَرُ[2]

فالشاعر يبدي مشاعره الصادقة التي تمّثلت في الحنين إلى الوطن الحبيب.

وما أشقى النّازح الغريب وصدره موقد، تضرمه نار الشوق و الحنين، وتمتلىء حياة الأديب بعاطفة المغتربين التّي لا تتوقف عن الحلم بالعودة إلى وطنها الأم، خاصة أولئك الذين اضطهدهم الزمان خارج الوطن وأقصاهم بسبب الألم و قسوة الحياة، ودفعت بهم لمّة

---

[1]) الطّاهر أحمد مكّي- دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة- دار المعارف- ط3- 1987م- ص210.

[2]) محمد رضوان الدّاية- الأدب الأندلسي و المغربي- مطبعة خالد بن الوليد- دمشق- 1981م- ص 305.

اليأس و البؤس إلى أرض لا يحسون فيها الاستقرار ولا يعرفون بها أمانا حتّى وإن كانت سخية العطاء، فشتّان بين أرض الأهل و الأصحاب وبلاد الغربة.

وابن سعيد المغربي واحد من أولئك الذين اشتعلت نار الحنين في قلوبهم أملا في العودة يوما إلى بلادهم يقول:

وَتَشْفَتْ أَعْيُنُ العُشَاقِ مِنْ حُورِ عَيْنٍ بالمُوظَي تَحْجُبُ
مَلْعَبُ لِلْهَوَ مُنْذُ فَارَقْتهُ مَا ثَنَائي نَحْوَ لَهْوٍ مَلْعَبِ[1]

هنا يتذكر **ابن سعيد** أيّامه الجميلة في أحضان الأندلس، البلد الذي وهبه كل شيء جميل، وهذا يدل على تعلّق الشاعر بوطنه فيبدو الشاعر في هذه الأبيات متشّوقا إلى بلاد الأندلس وهو بمصر:

هذه مِصْرُ فَأَيْنَ المَغْرِبُ مَذْ نَأَى عَنّي دُمُوعي تَسْكُبُ
فَارَقْتُهُ النَّفْسُ جَهْلاً إنَّمَا يَعْرِفُ الشيء إذاَ مَا يَذْهَبُ[2]

فهو يبرز من خلال هذه الأبيات حنينه ومدى مكانة وطنه في قلبه الذي أحبّ الأندلس بشدة فبكت عيناه لفراقها والتغرّب في بلاد سواها، **وابن سعيد** جاب مختلف أنحاء الوطن متغرّبًا عن بلده الأم لذلك حنّ واشتاق إلى بلاد الأندلس و السبب هو المعاناة وكثرة الألم و اليأس والقهر في النّفس الحزينة.

فالحنين إلى الوطن العربي كان بصمة في الشعر الأندلسي أوجدتها الظّروف السّياسية وغيرها، لذا نجد تجارب الشّعراء المغتربين الأندلسّيين قد أضافت عاطفة أخرى في الشّعر الذّاتي المرتبط بحياة كلّ شاعر من الشّعراء وهي عاطفة حب الوطن و الحنين إليه وتوقان النّفس المرتحلة عنه إليه، فالشاعر الأندلسي ارتبط ارتباطا شديداً، فالأندلس قبلة شاعرها كيف اتجه وأنّى اغترب، لا ينقطع عن ذكرها، ولا يرى بلدًا في الدّنيا يضاهيها فجمالها فوق كل جمال وعمرانها دون كلّ عمران.[3]

---

[1]) فون شاك- الشعر العربي في إسبانيا وصقلية- تر: الطاهر أحمد مكي- دار الفكر العربي- القاهرة- 1999م- ج1- ص 136.

[2]) فوزي سعد عيسى- في الأدب الأندلسي- ص29.

[3]) بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث- دار نظير عبود- بيروت-1979م- ص 79.

ومن الشّعراء الذين ارتحلوا عن الأندلس،**ابن جبير** المعروف **بصاحب الرّحلة**، إذ تجول في الشّام والعراق و الجزيرة، ولمّا وصل بغداد تذكر بلده فقال:

سَقَى الله بَابَ الطَّاقِ صَوْبَ غَمَامِهِ وَرَدَ إلى الأَوْطَانِ كُلَّ غَريبِ[1]

فالشاعر في هذا البيت يرجو من الله أن يرد كلّ غريب إلى وطنه بين أهله وذويه، فالشاعر يعرف جيّدا معاناة المغترب ومشاعر الحنين إلى تراب الوطن ولوعة الفراق في النفس المهاجرة في منأى عن مكان السّكينة الذي هاجرت منه.

وما أكثر الحنين إلى الوطن عند الأندلسيّين كما هو الحال عند **ابن خفاجة** الذي عشق الطبيعة الخلابة التي تتميّز بها الأندلس فيقول:

أَجَبْتُ وَقَدْ نادَ الغُرامُ فَأَسْمَعَا عَشِيَّةَ غِنَائي الحَمَامِ، فَرَجَعَا

فَقُلْتُ: وَلِي دَمْعٌ تُرَقْرِقُ فَانَهَمَى يَسيلُ، أَوْ صَبْرٌ قَدْ وَمَن فَتَضْعَضَعَا[2]

وقد تميّز شعر الحنين عند ابن خفاجة بالرّقة وبالبساطة في المعاني وروعة نزعتها الانسانية، فيبدو من خلال هذه الأبيات رجلا مرهفًا، متعلّقا بوطنه، يعتبر أرض الجزيرة سكنًا لنفسه.

ومن الشعراء الذين عشقوا أوطانهم فحنّوا إليها في غربتهم الشاعر الأندلسي **ابن زيدون** المولود بقرطبة سنة 394ه، فالشاعر يأمل بالعودة إلى الزهراء محلّ ارتياحه، وفي حنينه إلى قرطبة نظّم ابن زيدون أبيات الحنين من قصيدة، يصف نفسه في السّجن فيفاخر معتزا به متذكرا ديار صباه ومسقط رأسه قرطبة يقول:

أَقَرْطُبَةَ العَرَاءَ هَلْ فِيك مَطْمَعٌ؟ وَهَل كَبَدَ حَرَى لِبَيْنِك تَنْقَع

وَهَلْ لِلَيَاليكِ الحَمِيدَةِ مَرْجَعُ؟ إذَا الحُسْنُ مَرْأَى فيكَ وَالحينُ مَسْمَعُ[3]

وهذه الأبيات التي ضمّنها وصفا لحاله مشتاقًا إلى قرطبة التي اطّلعنا بفضله على ما كانت عليه من بهاء وازدهار، فتبرز مشاعر الحنين جليّة من خلال أمانيه بالرّجوع إلى قرطبة التّي أمضى فيها اللّيالي الحميدة التّي لا تفارق خياله فهو يحنّ إلى أيامه بقرطبة، وكانت

---

[1]) أحمد بن محمد المقري- نفح الطيب من عصر الأندلس الرّطيب- ج2- ص 386.

[2]) ابن خفاجة- الدّيوان- دار صادر- بيروت- دت- ص 426.

[3]) بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث- ص131.

قصائد ابن زيدون في الحنين إلى موطنه فيها لوعة من يغترب عن وطنه ومربع طفولته وأحبّته فالإنسان ألوف ولا شيء يعنيه أكثر من فراق الأرض التي أنبتته و المكان الذي قضى فيه صباه، فمهما كبر سيبقى يحنّ إليها عند البعد و التّرحال منها، فقد قضى ابن زيدون نصف عمره في الغربة، ورغم المجد الأدبي و المناصب الرفيعة إلاّ أنّه لم ينس حبّه لأرضه قرطبة.[1]

ومن الشعراء الذين طرقوا موضوع الحنين إلى الوطن المعتمد بن عبّاد، أشهر ملوك الطوائف بالأندلس(1039م-1095م)، انتقل إليه عرش إشبيلية بعد موت والده المعتضد بالله، وبعد حياة الأمير بدأت النّكبات تصيبه فمن موت ابنه إلى سقوط عرشه وأسرته، فأصبح فقيرا، وكان الحصن الزاهر من أحبّ المواضع إليه، فأخذ يحنّ عليه ويذكره:

غَرِيبٌ بِأَرْضِ المُغْتَرِبينَ أَسيرٌ   سَيَبْكي عَلَيهِ مَنْبَرُ وَسَرِيرُ

مَضَى زَمَنُ المُلْكِ مُسْتَأْنِسَ بِهِ   وَأَصْبَحَ مِنهُ اليَوْمَ وَهُوَ نَفُورُ[2]

ففاجعة ابن عبّاد بفقد أولاده الثلاثة وأسرته في حرب المرابطين في أغمات، كان ذا أثر في نفسه، مما دفعته إلى الشّعور بالغربة بعدما تبدّلت أحواله من أمير إلى أسير ذليل.

وعليه فإنّ الحنين إلى الوطن عند الشعراء الأندلسيين هو إحساس النّفس بالشوق و اللّهف و الحب اتجاه الوطن الأم ومدى تعلّقهم به بالرّوح و الدّم، فالحنين إلى الوطن هو تسليم القلب والنّفس والعاطفة للوطن الأم و البكاء لأجله وتذّكر أيامه الماضية الحميدة.

ثانيا: الحنين إلى الطبيعة:

بلغت فتنة الطّبيعة وجمالها في الأندلس حدّا لا يوصف، وقد وصف لنّا **الحميري** جانبا من سحر الأندلس فقال: ‹ و الأندلس شامية في طيبها و هوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها،

---

[1]) المرجع السابق- ص132.

[2]) ابن بسام الشنقريتي- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تق: محمد رضوان الدّاية- منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي- دمشق- 1978م- ص 327.

هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جباياتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها...›[1]

وقال لسان الدّين ابن الخطيب في بعض كلام له عن جمال الأندلس:‹ خصّ الله تعالى بلاد الأندلس من الرّيع و غدق السّقيا، ولذة الأقوات، وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبّحر العمران، وجودة اللّباس وكثرة السّلاح، وصحة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونبل الأذهان، وقبول الصّنائع، وشهامة الطّباع ونفوذ الإدراك...›[2]

وبلاد الأندلس بما حياها المولى به من جمال في الطّبيعة، فهي ذلك الصّقع الجميل الذي له ألطف أثر وأجمل وقع في نفوس أبنائه فيجعل الشّاعر من جمالها ذروة لا تفوقها ذروة، ويذكرها في حلة وترحاله ويظهر ذلك جليا في أبيات مشهورة **لابن خفاجة** يقول فيها:

يَا أَهْلُ أَنْدلُسْ للهُ دَرُّكُمْ مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

مَا جَنَّةُ الخُلْدِ إلاّ في ديَارِكُمْ وَلَوْ تَخَيَّرتْ هَذَا لَكُنْتُ أَخْتَارُ

لاَ تَخْشُوا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقْرَا فَلَيْسَ نَدْخُلُ بَعْدَ الجَنَّةِ النَّارُ[3]

والطّبيعة إذ تناولها شعراء الأندلس فهم ألّموا بكلّ جوانبها وشتّى أنواعها، ومنها الطبيعة الخضراء، والمياه و الجبال و الأودية، وكذا الطّير و الحيوان.

لقد أصبحت الطبيعة الأندلسية أداةً ومنفذًا للتعبير عن حنين الشعر إلى أوطانهم، فتذكروا طبيعتها حين شعروا بفقدانها، ولم يجدوا نظيراً لها ولا لجمالها، فانعكست في قصائدهم آثار الشّوق و الحنين إليها وغدت عند الكثيرين منهم جنّة الله في أرضه.[4]

ولمّا كان نتاج الشاعر الأندلسي في الحنين إلى الطّبيعة غزيراً ومتنوعًا فإنّ شعر الحنين إلى الطبيعة ينقسم إلى عدة أنواع أهمها:

[1] الحميري أبو عبد الله- ضفة جزيرة الأندلس- تصحيح وتطبيق: لافي بروفنسال- القاهرة- مطبعة التّأليف والنشر والترجمة- 1937م- ص 04.

[2] المقري- نفح الطيب- ج1- ص 126.

[3] جميلة الخوري- الطبيعة في الشعر الأندلسي- رسالة ماجستير- الجامعة الأمريكية- بيروت- 1946م- ص 18.

[4] أحمد دقالي- الحنين في الشعر الأندلسي- ص250.

أوّلا: الحنين إلى الأنهار:

ورد ذكر الأنهار و الحنين إليها في نتاج شعراء الأندلس في العديد من القصائد و المقطعات، فنجد **ابن سعيد** يعبّر عن حنينه إلى إشبيلية وذكر أيّامه، التي قضاها في ربوعها، واصفا تجواله على ضفاف نهرها الكبير، وفي إحدى قصائده التي قالها بمصر نجده يشيد بنهر إشبيلية ويفضّله على نهر النيل، مُظهر غربته وحزنه في قوله:

أَيْنَ حِمْصُ أَيّامي بِهَا بَعْدَها لَمْ أَلْقَ شَيْئًا يَعْجَبُ

كَمْ تَقَضّى لي بِهَا مِنْ لَذَّةٍ حَيْثُ للنَهْرِ خَريرٌ مُطْرَبُ[1]

وفي أبيات أخرى يبيّن عمق إحساسه بالحنين إلى طبيعة بلاده وأنهارها مظهرا محاسن بلاده ومنتزهاتها يقول مخاطبا النّيل:

يَا نَيْلَ مِصْر أَيْنَ حِمْصُ وَنَهْرُهَا حَيْثُ المَنَاظِرُ أَنْجُمٌ تَلْتَاحُ

في كُلِّ شَطٍّ للنَّوَاضرِ مَسْرَحُ نَدْعُو إليه مَنَازِحُ وَبِطَاحُ[2]

وفي قصيدة أخرى يتشوّق فيها إلى إشبيلية أيضا، ذاكرا نهرها الذي يمثل له بعض ذكرياته، ويعدّ نهر حمص مفخرة لكلّ الأندلسيين إذ يقول:

يَا نَهْرَ حِمْصُ لاَ عَدْتكَ مَسَرَّة مَاءُ يَسيلُ لَدَيْكَ أَمْ صَهْبَاءُ

كُلُّ النُفُوس تَهُشُ فيكَ كَأَنَّمَا جَمَعَتْ عَلَيْكَ شَتَاتُهَا الأَهْوَاءُ[3]

لم يكن ابن سعيد وحده من حنّ إلى الأنهار الأندلسية، فقد حنّ **ابن عميرة** إلى نهر مدينته جزيرة **شقر** متحسرا على فراق أيّامه التي قضاها هناك، وشقر تعد إحدى أقاليم الأندلس الصغيرة فقد امتازت هي الأخرى بطبيعة خلابة على غرار باقي الأقاليم الأندلسية وهي حسنة البقعة، كثيرة الأشجار والثّمار والأنهار، وبها أناس وجله، وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي والمدخل إليها في الشّتاء على المراكب، وفي الصيف

---

1) ابن سعيد علي- المغرب في حلى المغرب- تح: شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط4- 2004م- ص111.

2) المصدر نفسه- ص 112.

3) المصدر نفسه- ص113.

على مخاضة،[1] وهنا نجد الشاعر المطرف بن عميرة يسترجع أيّام أنسه ولهوه على ضفاف ذلك النّهر الذي يفضله على غيره من الأنهار، إذ يقول:

يَا نَهْرَ شَقْر فيك أَدْرَكْتُ المُنَى فَلا أَنْتَ مِنْ نَهْرٍ مُحَبَّبٍ[2]

ثانيا: الحنين إلى الجبال و الأودية:

من شعر الحنين إلى الطبيعة ورد ذكر الحنين إلى الجبال و الأودية، فقد ورد في شعر **أبي المطرف بن عميرة** حنينه إلى أحد جبال الأندلس من قصيدة بعث بها إلى الشيخ **أبي جعفر بن أمية**، واصفا ما بقلبه من لواعج وشوق، وقد رمز إلى ذلك الجبل **بجبل الرّيان** المعروف بالمشرق حيث يقول:

ألاَّ أَيُّهَا القَلْبُ المُصَرَّحُ بالوَجْدِ أَمَالَكَ مِنْ بَادي الصَّبابة مِنْ بُدٍ

فَيَا جَبَلَ الرَّيَان لأرَى بَعْدَمَا عُدْتَ غَيْرَ الأيَّام عَنْ ذَلك الوَرْدِ

وقد نالت الأودية كغيرها نصيب من شعر الحنين في الأندلس، حيث ورد ذكرها في شعر **ابن سعيد** الذي حنّ إلى وادي الطّلع بشرق إشبيلية، وهو ملتف الأشجار كثير مترنّم الأطيار كما يروى، وحنّ إلى العهد الذي قضاه مع من يحبّ وسط الطّبيعة الخلابة التي تسلب العقول حيث قال:

واذْكُرْ بوَادِي الطَّلَح عَهْدًا لَنَا لله مَا أَحْلَى و مَا أَطْيَبَا

بجَانِبِ العَطْف وَقَدْ مَازتَ الأَ غْصَانُ وَ الزَّهْرُ يَبُث الصَّبَا[3]

و ورد ذكرها في شعر ابن هشام القرطبي في حنينه إلى مدينة قرطبة، و من خلال عرضه لبعض معالمها ، و محاسن طبيعتها ورد ذكر بعض أوديتها كوادي العقيق في قوله:

مَسَارحٌ كَمْ بها سَرَّحْتُ مِنْ كَمَدٍ قَلْبي وَطَرَفي وَلاَ سُلْوان يَثْنينِي

بَيْن المُصَلّى إلى وَادي العَقيق وَمَا يَزَالُ مِثْل اسْمِهِ مُذْ بانَ يُبْكيني[1]

و لم يقتصر ذكر الأودية الأندلسية و الحنين إليها في شعر الأندلسيين ،بل ورد

---

[1]) الحميري- ضفة جزيرة الأندلس- ص104.

[2]) ابن الآبار أبو عبد الله- الدّيوان- تح: عبد السلام هراس- الدّار التونسية للنشر- ط2- 1980م- ص410.

[3])ابن سعيد علي- اختصار القدح المعلي في تاريخ المحلي- تح: إبراهيم الأبياري- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط1- 1980م- ص84-85.

ذكر أودية أخرى كأودية الحجاز، على نحو ما نجد في شعر ابن الجنار ،من قصيدة يحن فيها إلى الديار المقدسة، و يصف فيها ركب الحجيج الذاهب إلى أداء فريضة الحج، و نزولهم في وادي الأراك بمكة المكرمة، و قد ملأ الحنين و الشوق إلى تلك الديار جوانحه، حيث يقول :

تَذْكُران ذِكْرى أوْ تَهيجُ اللَّوَاعجَا فَعَالجْنَا أَشْجَانَا يُكَاثِرْنَ عَالجَا

ركَاباً سِرْتُ بيْن العَذيبِ وَ بَارقٍ *نَوَاييحُ في تلكَ الشّعابِ نَواعِجَا**

تَيَمَّمْنَ مِنْ وَادي الأرَاك مَنازلاً قَيْطَوِينَ أَلَا في الأرَاكِ سَجَا سَجَا[2]

ثالثا:الحنين إلى المتنزهات و الحدائق:

تتميز الأندلس بكثرة المتنزهات و الحدائق و هي منتدى للناس يقضون فيها أوقات لهوهم و أنسهم،و أن شعراء الأندلس فتنوا بطبيعة بلادهم الخلابة،و عندما هاجروا منها أحسوا بفقدها و انعكس حنينهم، إليها في قصائدهم، و ذلك لفقدانهم لها، فتذكروا ما فيها من متنزهات و حدائق، وجعلوها أداة للتذكر و الحنين و البكاء على الذكريات الماضية و لعل أكثر الشعراء إبداعا في وصف الحدائق و المتنزهات الشاعر **ابن خفاجة** سيد شعر الطبيعة في الشعر الأندلسي إذ يقول:

وَصَقلِيةُ الأنْوَارُ تُلوى عَطْفُهَا رِيحٌ تَلُفُ فُرُوعُهَا مُعْطَارُ

وَالنُورُ عِقْدٌ وَالغُصُونُ سَوَالقٌ وَالجذْعُ زِنْدٌ والخَليجُ سِوَارُ

عَنَاءٌ أَلْحَفَ عَطْفُهَا الوَرَقُ النَّديُ وَالتَفَ في جَنَبَاتهَا النُوارُ[3]

و في شعر **ابن سعيد** ما يظهر لنا حنينه إلى المتنزهات الأندلسية فيذكر شنتبوس و متنزه بغرناطة، متذكر أيامه التي قضاها في تلك الربوع و يقول:

وَلَكُمْ في شَنْتَبُوسْ مِنْ مُنى قَدْ قَضيْنَاهُ وَلاَ مِنْ يَعْتَبُ

---

1) المقري- نفح الطيب- ج2- ص70.

*نواييح: زوبعة من الرّياح. ●

** نواعج: الناقة البيضاء المسنة.

2) ابن جنار- الدّيوان- ص74.

3) ديوان ابن خفاجة الأندلسي- تح: عبد الله سندة- دار المعرفة- بيروت- ط1- 1427ه/2006م- ص130.

حَيْثُ هَاتيكَ الشَرَاجيبُ التّي كمْ بِهَا مِنْ حُسْن بَدْرٍ مُعْصَبُ [1]

و حنّ **ابن الآبار** إلى حدائق مدينته و متنزهاتها، مصور تلك الجداول و قد أفضت إلى الغدران كالأمهات التي انحنت لإرضاع أطفالها.يقول:

يَا شَوْقَ أَحْداقِي هَفَتْ لحَدَائقَ تَفْضي جَدَاوِلهَا إلى غُدْرَانها

كَالأمَّهَات أَوُتِ إلى أَطْفالهَا فَرَمَتْ عليها الرِزْق مِن قُمْصَانهَا[2]

رابعا: الحنين إلى الأزهار و الرياض:

أمّا الرياض و ما يحيط بها من أزهار و أشجار و طيور و غيرها من المناظر المبهجة فهي أيضا نالت نصيبا من شعر الحنين عند شعراء الأندلس ، و ذلك من خلال إحساسهم بفقد تلك الطبيعة التي اعتادوا عليها

و سحرتهم بجمالها ، فأطنبوا في وصفها ، و بالغوا في الإشادة بها حتى غدت عندهم جنة الله على الأرض.[3]

و قد تميز الأندلسيون من ناحية الوصف الطبيعي بالإكثار من وصف الأزهار ، حتى **ابن الحميري** كتابه البديع في وصف الربيع فكان عندهم ما يشبه الميل الحضاري للأزهار لكثرتها و تنوعها في قطرهم و بلدهم الأندلس[4]

و من أهم الشعراء الأندلسيين الذين اهتموا بوصف الرياض نجد **عبد الله بن سماك** إذ يقول :

الرَّوْضُ مُخضَرُ الرُبَى للّنَاظِرينَ بأجْمَل الألوَانِ

وَالطيْرُ تَسْجَعُ في الغُصُون كَأنَّهَا نَقْرُ القَيَان حَنَتَ عَلى العِيدَانِ

والماءُ مُطْردٌ يَسيلُ لُعَابُهُ كَسَلاسِلَ مِنْ فِضَّةٍ وَ جُمَانِ[5]

---

[1]) ابن سعيد- اختصار القدح المعلي في تاريخ المحلي- ص90.

[2]) ابن الآبار- الديوان- ص424.

[3]) أحمد دقالي- الحنين في الشعر الأندلسي- ص262.

[4]) إحسان عبّاس- تاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطّوائف والمرابطين- دار الشروق-عمان- ط1- 1997م- ص155.

[5]) محمد حسن فجّة- محطات أندلسية – دراسات في التاريخ و الأدب و الفن الأندلسي- دار السعودية للنشر و التوزيع- دط-دت-ص125.

و الشاعر هنا في وصفه للروض ، لا يعطينا صورة جامدة أو مباشرة عنه و حسب بل إنه بتشبيهاته الرائعة يزودنا بصورة عامة عن الجو العام الذي كان سائدًا في المجتمع الأندلسي ، ومن ذلك انتشار المغنين و شيوع الترف المتمثل في سلاسل الفضة والجمان ...الخ، ونجد أيضا الشاعر **أبو الصّلت الإشبيلي** من شعراء القرن الخامس الهجري، وقد قال يصف روضا ويرى فيه جمال المرأة:

أَوَ مَا رَأَيْتَ النُّورَ يُشْرِقُ بالنّدَى   وَالفَجْرُ يَنْهَلُ مِنْ تُضَابِ الخُنْسِ
وَالرَّوْضُ يُبْرِزُ في قَلائِدَ لُؤْلُؤ   وَالأَرْضُ تَرْفُلُ في غَلاَئلَ سُنْدُسِ
لاَ تَعْدمَ الأَلْحَاظَ كيف تصرَّفَتْ   وَجنَاتُ وَرْدٍ أَوْ لَوَاحظَ نَرْجَسِ[1]

وهنا نفهم أنّ الشاعر يرى صورة الرّوض على أنّها جمال امرأة ساحرة في الوصف، وكان الشعراء إذا ما جلسوا في مجلس أنس أو طرب لم ينسوا ما كانت تهيئه لهم طبيعتهم الجذّابة من جوّ جميل مفرح تزقزق فيه الأطيار وتسيل فيه المياه وتطيب فيه الأثمار لقول قائل:

وَملَّ بنَا نَحْوَ عَيْنٍ الدَّمْعِ نَشْرِبُهَا   حَيْثُ السُرُور بِكَأْسِ الأَنَسِ يَسْقينَا[2]

كما أن الأندلسيين كانوا إذا رثوا ،وصفوا الروض منتينا على المرثي كما تجري جداول الماء على الخدود حزنًا عليه .قال **ابن خفاجة** يرثي **الوزير أبا أحمد عبد الله بن ربيعة:**

فِي كُلِ نَادِرٍ رَوْضٌ ثَنَاءِ   وَبِكُل خَدٍّ فيك جُنْدُلُ مَاءٍ
وَلِكُلِّ شَخصٍ هَزَةٌ الغُصْنِ النَّدَى   غَبَّ البُكَاءُ وَرَنَّةُ المَكَّاءِ[3]

ومن الدلائل العجيبة على مدى حياة وحيوية تلك المشاهد الطبيعية التي رصدها لنا الشاعر الأندلسي،قول محمد بن يحيى النحوي ، والمعروف بالقلفاظ،وقد كان شاعرا مشهورا،ذكر له **أبو عمارة بن مسلمة** شعرا في الرياض ومنه:

وَالأَرْضُ من ذَاكَ الحَيَا مُوشِيَةٌ   وَالرّوْضُ مِنْ تِلْكَ السَّمَاءَ سَمَاءُ
مَا إِنْ وَشَتْ كمَا صَناَعَ مَا وَشَى   ذَاكَ الغِنَاءُ بهَا وَذَاكَ المَاءُ[1]

---

[1]) محمد حسن فجة- محطات أندلسية- ص126.
[2]) جميلة الخوري- الطبيعة في الشعر الأندلسي- ص20
[3]) ابن خفاجة- ديوان ابن خفاجة- ص18.

ونجد **ابن زيدون** في فتنة الطبيعة وما يختلف فيها من جمال آسر وروعة فضفاضة للرّياض و الأزهار قوله:

وَرْدٌ تَأَلَّقَ في مَنَاحي مَنَابِتِهِ   فَازْدَادَ مِنْهُ الضُحَى في العَيْنِ إشْرَاقًا
سَرَى يُنَافِحُهُ نَيْلَفُورُ عَبَق   وَسِنَانٌ فيه من الصُّبْحِ أَحْدَاقُهَا[2]

ولا ننسى شاعر رثاء الأندلس **أبو البقاء الرّندي**، فقد ورد ذكر الرّياض في شعره من خلال تذكرّه لليالي التّي قضاها في موطنه، حيث تبسّم الزهر في تلك الرّياض، وقد انساب النسيم عليلاً بين الصّبا و الشّمال ومن أفضل ما قيل في الرّثاء، مصورا زهو الحضارة الأندلسية وتألقها **‹مرثية الزّمان وقصة المكان›** في قوله:[3]

دَهَى الجَزِيرَةَ أَمْرُ لاَ عَزَاءَ لَهُ   هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَد ثهْلاَنُ
أَصَابَهَا العَيْنُ في الإسْلامِ فَامْتَحَنَتْ   حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَة مَا شَأْنُ مُرْسِيَةَ   وأَيْنَ شَاطِبَةُ أَمْ أَيْنَ حَيَّانُ[4]

و الملاحظ في هذه الأشعار أنها تجيء غالبا متشابهة ولكن في شعر يتّصف بصفات مميزة تختلف باختلاف قائلها، فمنهم أحبّ الطّبيعة في الرّياض و البساتين ولم ترقه سوى الصفرة دالة على ذبول وجه الولهان، ومنهم من لم ير الجمال في الطبيعة إلاّ واخضرّت روابيها بمختلف سواقي مياهها وألوان أزهارها وعلّو أشجارها، وزقزقة عصافيرها وغيرها من جمال الطّبيعة الخلابّة.

ثالثا: الحنين إلى الأهل:

من الطّبيعي أن يحنّ المرء إلى أهله و أقربائه وإلى ذكرياته التّي قضاها معهم، بكلّ ما تحمله تلك الذّكريات لأنّها تعدّ جزء من ماضٍ عزيز يتذكّره دائما ويحنّ إليه، والشعر العربي غزير بحنين الشّعراء إلى أهلهم وأقربائهم.[5]

[1]) الضبي أحمد بن يحي- الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تح: ابراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري- القاهرة- ط1- 1988م- ص180.
[2]) الضبي أحمد بن يحي- الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- ص 190.
[3]) مجلة العربي- وزارة الثقافة- الكويت- العدد 635- شوال 1432ه/أكتوبر 2011م-ص36.
[4]) عزوز زرقان- شعر الاستصراخ في الأندلس- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 2008م- ص134.
[5]) أحمد دقالي- الحنين في الشعر الأندلسي- ص287.

لقد أدّت الظّروف السّياسّية و الاجتماعية إلى ذيوع ظاهرة الحنين في الشعر الأندلسي وكانت قد أثّرت على أحوال الأسر الأندلسية التّي عرفت التّرحال والتّفرق والشّتات وقلّة القوت، فكان سعي الأندلسيين جاهدا من أجل توفير الأمان ولقمة العيش لعائلاتهم، ممّا أدّى بهم إلى التغرّب بعيدا عن الأهل والأقارب والأحباب، فلم يهنئوا في أوطانهم بسبب الفاقة وتقلّب الأحوال، ولم يهنئوا أيضا في بلاد الغربة التّي لجئوا إليها بغرض طلب السكينة والرّزق.[1]

و ما أكثر الشعراء الذين عرفوا التغرّب بعيدا عن الأهل، كما عرفوا مدى ألم الفراق وصعبة العيش بعيدا عن من يحبوا.فنجد الشاعر **أبا القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي** الذي أغار الفرنجة على داره فخربوها،و قتلوا أهله و أقاربه،و كان هو غائبا عنهم،كان كفيف البصر فاستأجر من أركبه و عاد إلى دياره و يقول:

يَا دَارَ أَيْنَ البيضُ و الأرَّامُ — أمْ أَيْنَ حيران عَلى كِرَامُ
رَابَ المُحِبُ مِن المَنَازِلَ أنَّهُ — حَيٌ فَلَمْ يرْجَعَ إلِيْه سَلامُ
لمّا أجَابَنِي الصَّدَى عَنْهُمْ وَلمْ — يلجْ المَسَامع للحبيب كلامُ[2]

من خلال هذه الأبيات تبرز مشاعر الأسى على فقدان أهله و بيته خاصة و أنه أعمى في حاجة ماسة إلى من يعينه في قضاء حاجاته في كل مذهب ،فمرارة الفراق آلمت الشاعر وزادت همه وحزنه و حنينه إلى كنف أسرته.

و يقول **المعتمد بن عباد** وهو في سجن أغمات لما استقبله عيد الفطر بعيدا عن أهله:

فيمَا مضى كنت بالأعيادَ مَسْرورًا — فسَاءَتْ العيدُ في أغماتِ مَأْسُورَا
ترَى بنَاتكَ في الأطْمَار جَائِعَةً — يَغْزِلْنَ للنَّاس مَا يمْلِكْن قَطْميرَا
برزْنَ نحْوكَ للتَّسليم خَاشِعةً — أبْصَارُهُن حسيراتٍ مَكَاسيرَا
يَطَأْنَ في الطّين والأقْدَام حافيةٌ — كَأنَّهَا لمْ تَطَأْ مِسْكًا وَكَافورَا[3]

---

[1]) بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث- ص148.

[2])ابن سعيد- المغرب في حلى المغرب-ص62.

[3]) بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث- ص153.

يتذكر الشاعر و هو في السجن عندما استقبله العيد تلك الحفلات الفخمة التي كانت تقام بقصره، و تذكر بشائر السرور التي كانت تلوح على وجوه أولاده و بناته.فرأى بناته لما دخلن عليه ليبلغنه التهنئة فتيات كالزهر دموعهن في الأعين حافيات الأقدام،في أطمار بالية بأيديهن المغازل و قد غير البؤس تلك الوجوه الجميلة و ظل يندب حظه و حظ أهله.

و يقول **أبو البقاء الرندي** راثيا زوجته حزنا على فراقها:

يَا بُرهةً لحَانَ فيهَا للْمُنَى أمَلٌ   وَنزهةٌ للهَوَى وَالسَّمْع والبصَرِ

مضتْ مَضْيَ الصّبَا عنّي لَاعِوضَ   ومنْ يَقُومُ مَقَام الشَّمسِ وَالقَمَرِ [1]

فالشاعر في هذه الأبيات يبرز مكانة زوجته في حياته،وأن فراقها ذوق رجعة بفعل الموت أفجعه وهو يشبه وفاتها بمضي الصبا لا عوض له،و هذا يدل على مدى أهميتها في قلبه، ومدى فاجعته برحيلها فأسباب الحنين إلى الأهل والأقارب كانت متعددة و لكل مشاعر قصة و تجربة عاشها،فاتسمت أشعاره بالصدق لأن مشاعره نابغة من وجدان عرف مرارة البين و لوعة الفراق و طول البعاد.

وتقترن الغربة و الفراق بحنين الأهل والأحباب،فالبعد يؤرق الشاعر الأندلسي، ورؤيته البرق في الليل تبعث الشحن،فيتذكر شرق الأندلس ويحن إلى أهله و أحبائه وذكرياته العزيزة،فيموت شوقا وحزنا على ذلك،على نحو ما نجد في قول **ابن عميرة:**

تَذَّكر عَهْدَ الشَّرْقِ وَ الشَّرْقُ شَاسِعٌ   وَذَاتُ أَسَى لِلْبَرْقِ وَالبَرْقُ لاَمِعٌ

كفَى حُزْنًا نَأَيْ عَنْ الأَهْلِ بَعْدَمَا   نَأَيْنَا عَنْ الأَوْطَانِ فَهِيَ بَلاَقِعُ[2]

ولا ننسى ابن الآبار الذي يعدّ الليل مصدر قلق له، حيث تتكاثر همومه ويخطر له طيف الأحبّة و الأهل، فتعود ذاكرته إلى ذلك الماضي العزيز فيتذكر تلك الأيّام التي قضاها معهم، فينبعث في نفسه الشّعور بالحنين و الشوق إلى الأهل و الأحباب، وقد أرّق النوم عينيه وأضحت صورة الأهل و الأحباب لا تفارق مخيّلته يقول:

أَيَا أَسَفِي عَلَى عَدَمِ الهُجُوعُ   وَفُقْدَانِ الأَحِبَّة وَالرُّبُوع

[1]) لسان الدين ابن خطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- ص77.

[2]) الحميري- الرّوض المعطار في خبر الأقطار- تح: إحسان عبّاس- مكتبة لبنان- ط2- 1984م- ص350.

وَشَمْلي مَزَّقَتْهُ يَدُ الرَزَايَا لِيُنّظمَ بَعْدهَا شَمْلُ الدُّمُوعِ
يَشُقُ عَلَيَّ عَنْ أَهْلي نُزُوحِي وَيَغْلِبُني إلى وَطني نُزُوعِي[1]

وقد يكون الفراق على الأهل و البعد عنهم بسب طلب الجاه و السلطان، وبسبب الاسترزاق وطلب القوت من أجل تغيير أوضاع الحياة الاجتماعية، هذا ما أدّى إلى غربة الشّعراء وذوقهم مرارة البعد والبّكاء و الحنين عن أهلهم و الأحبّة، وهذا شعور صعب جدّا بالنّسبة لأصحاب القلوب الحنونة،إنّ إحساس الغربة و الحنين كان عميقا في نفس الشّعراء الأندلسيين، فقد عرفوا معاناة التّرحال و الهجرة وقسوة البعاد ولوعة فراق الأهل، فالظروف القاسية التّي تعرضت لها الأندلس أثّرت على المواضيع التّي أصبح الشّعراء ينّظمونها، فنجد شعر الحنين إلى الأهل والأقارب عند جلّ الشّعراء في الأندلس، عند الأمير الثّري كما هو عند غيره من البسطاء و الفقراء، فالنظم في هذا المجال كان غزيرا من حيث الإنتاج الأدبي ومن حيث العواطف النبيلة الصّادقة.[2]

ومن الشّعراء الذّين عانوا وذاقوا مرارة الابتعاد عن الأهل و الوطن الشاعر **ابن شهيد الأندلسي** فقد شهد الدّولة العامرية وانهيارها، ليسيطر عليه الحزن بعد أن رأى البربر يخرجون أهل قرطبة من ديارهم وينهبون خيراتهم فتفرقوا بعد شملهم يقول:

مَا فِي الظلُول مِن الحَبَّة فمنِ الذِي عَنْ حَالهَا نَسْتَخْبِرُ
لاَ تَسْأَلْنَ سوَى الفِرَاقَ فَإنّهُ يُنْبيكَ عَنْهُمْ أَنْجدُوا وَأمْ أغوَرُوا
جَار عَليهمُ الزّمانُ فتفرَّقُوا فِي كُلّ ناحيةٍ وَباءُ الأَكْثرِ [3]

كما عرف **ابن زيدون** الغربة في سجنه فاشتاق إلى دياره و أهله فيقول:

خَليِلِي لَا فطر يسر ولا أضْحَى فمَّا حَالُ من أمْسَى مشوقا كَمَّا أضْحَى

فابن زيدون من الشعراء الذين فرق بينهم وبين ذويهم و ديارهم الأسر في السجون ، فكتب في سجنه و اغترابه إحساسه بالضياع و من خلال تجربة ابن زيدون مع الأسر في السجن و الابتعاد عن ذويه و عن ولادة و عن قرطبة نلمس طابع وجداني ميز شعره ، وكان بعده

[1]) ابن الآبار- الدّيوان- ص365.
[2]) بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس- ص 162.
[3]) ابن شهيد- الديوان- تح: يعقوب زكي- القاهرة-دت- ص109.

عن من يحب و وحدته في السجن يجعله يشعر بالأسى و الحزن و فقدان طعم الحياة و لذتها ،و يجعله في حنين دائم إلى مفارقيه أملا في الوصال.

إنْ عَادَ لَكُمْ عيدُ فرُبَ فَتى بالشّوْقِ قَدْ عَادَ مِنْ ذِكْرِكُمْ حُزْنُ

وَأَفْرَدَتْهُ اللّيالي مِنْ أَحبّته فَبَاتَ يُنْشِدُهَا ممَّا جَنَا الزّمنُ

بِمَ التّعَلُلُ لاَ أَهْلُ وَلاَ وَطَنْ وَلاَ نَديمَ وَلاَ كأْسَ وَسَكَنٌ[1]

ومن خلال هذه الأبيات يبدو لنا الشّاعر يائسا متشائما وكئيبا بعد معاناة الحرمان و الفقد والضياع كما يظهر حنينه جليا إلى الوطن والأهل.

و يقول **ابن الحجاج :**

قَالُوا تغرَّبْتُ عنْ أهْل وَطنْ فقلتُ لمْ يبقَ لِي أهلٌ وَلَا وَطنْ

أَفْرغْتُ دَمْعي وَحُزني كُلُهم وَليْس لي بَعْدهمْ سُكْنى وَلاَ سكنْ[2]

ففي هذه الأبيات يشكو الشاعر وحدته التي يقضيها بعيدا عن أهله ومن يقربون إليه من الأحباب،و العودة إلى الوطن تظل حلما يراوده و لا يمكنه التحقق في ظل سقوط المدن و الأسر.

نفهم من هذا القول أن مختلف الشعراء الأندلسيين ذاقوا مرارة البعد و الفراق عن الأهل و الأقارب مما جعلهم يكتبون قصائد تتحدث عن الحنين إلى الأهل و الوطن بأقلام تهز الأيادي و بدموع حارقة و مؤلمة.

رابعا:الحنين إلى المحبوب:

عبّر الشعراء عن حنينهم و شوقهم اتجاه المحبوب الذي شعروا بفقده،و المحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة أين تعلق بحبها الشاعر في فترة زمنية إلى أن حال الفراق بينهما،فهو يعبر بشعره عن إحساسه المرهف عن الذكريات التي قضاها معها و يعكس الأمة بسبب غياب المحبوب و يصور أيام الوصال التي قد ذهبت، و حل محلها لبلا طويلا من الفراق و الأشجان، فالحنين إلى المحبوب هو موقف شعوري صادق،تغذيه التجربة بالألم،و ترفده

[1]) محمد زكريا عناني- تاريخ الأدب الأندلسي- ص101-102.

[2]) أبو الحسن النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- تح: ليفي بروفنسال- القاهرة- 1947م- ص112.

برقة المشاعر و رهافتها، فيفيض على لسان الشاعر قصائد و مقطوعات عذبة،تنم على شفافية الإحساس، و زخم العواطف المتقدة في صدره.[1]

يعدّ الحنين إلى المحبوب من أهم المواضيع التي جذبت شعراء الأندلس،لأن الحنين يتولد من الحب،و الحب يورث شوقا عبروا عنه بقصائد جيدة السبك صادقة في كثير من الأحيان،و لعل مرجع ذلك لتولدها من عاطفة صادقة، و هذا ما جعل قصائد الحنين الأندلسية مستحسنة و ذات قيمة أدبية عالية،ويروى في هذا الباب أن **أبا الطيب المتنبي** أنشد شعرا لشعراء أندلسيين،فلما أنشد قول **يحي بني هذيل القرطبي:**

لمّا وضعتُ على قَلْبي يَدي بيَدِي   وَصِحتُ في اللَّيلةِ الظلمَاء واكِبِدِي

ضجَت كواكبَ ليْلي في مَطَالعهَا   وَذَابتْ الصَّخرةُ الصَّمَاءُ مِن جِلْدي[2]

قال : هذا أشعر القوم،ولا يخفي ما في قول **أبي الطيب** من إعجاب بشعر **يحي بن هذيل** وهو من بإجادته للشعر.

و لا يمنع تجويد شعراء الأندلس لشعر الحنين من أن يكونوا قد تأثروا بالموروث الشعري المشرقي، و لا غرابة في ذلك،لأن الشعر تعبير عن مكونات النفس و قد تتشابه أدوات التعبير بين البشر،لذلك ذكر شعراء الأندلس كثيرا مما ذكره شعراء المشرق من ملازمات شعر الحنين للمحبوب كالحمام و البرق و الوقوف على الأطلال، و غير ذلك مما اعتاد ذكره الشعراء،مما سيفصل فيه القول.[3]

مما يدل على الحنين إلى المحبوب **ابن حزم** في مقدمة كتابه **طوق الحمامة في الألفة والآلاف** إذ يقول:**"**الحب أعزك الله أو له هزل و آخره جدّ...إلى أن يقول :و قد أحب الحلفاء المهديين و الأئمة الراشدين و منهم بأندلسنا **عبد الرحمن بن معاوية** لدعجاء **وعبد الرحمن بن الحكم** وشغفه بطروب والحكم المستنصر واقتتانه بصبح...**"**[4]

---

1) حبيب محمود- الحنين في شعر صدر الإسلام- رسالة دكتوراه- دمشق- جامعة تشرين- وهران- 2003م.

2) يحي بن هذيل- من أهل العلم و الأدب في الأندلس- سمع الحديث وأتقن الشعر- توفي عام386ه.

3) الحميدي أبو عبد الله- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تح: محمد بن تاويت الطّبخي- مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع- دت- ص200.

4) ابن حزم- طوق الحمامة في الألفة و الآلاف- دار مكتبة الحياة- بيروت-2002م-ص120.

وشعر الحنين إلى المحبوب لم يظهر بوضوح أيام عبد الرحمن الداخل وبداية تكوين الإمارة،الانشغال الناس بتأسيس الدولة و تمكين السلطان،وهناك مواقف وأحداث تمر بالشاعر،فتحيي في نفسه الأشواق، والفراق هو السبب المباشر للتشوق لأنه سبب ابتعاد المحبوب عن محبه لذلك نجد الشاعر **القرطي ابن زيدون** يكثر من وصف يوم الفراق في قوله و هو يتذكر محبوبته ولّادة:

إنّي ذَكَرْتُكَ بالزَّهْرَاءِ مُشْتاقًا   والأفقُ طلقٌ وَمَرْأى الأرضِ قَدْ رَاَقَا

وللنّسيمِ اعْتلالٌ في أصَائِلِهِ   كَأنّما رَقَ لي فاعْتلّ إشْفاقًا

كلّ يهيجُ لناَ ذكْرَى تُشوقنَا   إلَيْكُمْ لمْ يَعُدْ عنْها الصَدْرُ إنْ ضَاقَا[1]

و لا ننسى **ابن شهيد:**

بَكَى أسفًا للْبَيْنِ يومَ التَّفَرُّقِ   وَقَدْ هَونَ التَّوديعُ بعْضَ الذِي لَقِيَ

ومَا للّذِي وَلَّى به البَيْنُ حَسْرةً   بَكَيْتُ ولكنْ حسْرةً للَّذي بَقِيَ[2]

تكثر في يوم الفراق الدموع بدلالة تكراره للفظة "البكاء" و يرى أن دموعه ليست على ما مضى من فرقة ولكن للذي هو آت،و المجهول أشد تأثيرا في النفس، فهاهو يبكي في موقف الفراق فكيف يكون حاله بعد أن يصير وحيدا منفردا؟.

و **ليحي بن هذيل** أبيات بديعة التصوير ليوم الفراق:

شَاهَدْتهمْ وَأناَ أَخَافُ عِنَاقَهُمْ   شُحًّا عَلَى أَجْسَامِهِمْ أنْ تُحْرَقَا

فَترَكْتُ حَّظي مِنْ دُنُوِي مِنْهُمْ   وَمِنَ الوفاءِ بأَنْ تُحبَ فَتَصَدَقَا[3]

إنه لم يودع محبوبته بالعناق والَتحيا،ولم يظهر فزعه لفرقتها، خوفا على جسدها من الاحتراق بنار لوعته ولكنه يتصبر و يكفيه وفاؤه لها وصدق محبته، ثم يضعف عزمه وتخور قواه بعد فراقها .

وهذا هو الحب الذي يكنه لمحبوبته.

[1]) ابن زيدون- الديوان- تح: علي عبد العظيم- دار نهضة- مصر- القاهرة-ط1-1982م-ص163.

[2]) الحميدي- جذوة المقتبس- ص395.

[3]) الحميدي- جذوة المقتبس-ص359.

وقد وصف الشعراء حالهم بعد الفراق فصوروا معاناتهم،ومن ذلك **أبي بكر الزبيدي** التي أرسلها إلى جاريته سلمى وهو في غزوة مع الخليفة المستنصر.إذ يقول:

وَيْحكَ يَا سَلْم لاَ تُرَاعي لاَبُدَّ للبَيْن مِنْ زَمَاع
لاَ تْحسِبْني صَبرْتُ إِلَّا كَصَبْر ميّتٍ على النّزاَعِ
مَا خَلَق الله من عذابٍ أشدُّ منْ وقفةِ الوَدَاعِ[1]

و الشاعر هنا يدعو محبوبته إلى التحلي بالصبر،فلا بد أن ينتهي إلا في حال لا فرق فيه بينه و بين الموت،إلا أن للصمت نواحيا وبواكيا،ولا نوائح له،و أن الميت يرجو لقاء أحبابه.

و **لابن الحداد** مقطوعتان، تدوران حول معنى إخفاء ما يخلفه الشوق في نفس الشاعر من آلام و أحزان و دموع،لا يسره أن يراها الناس يقول في أولاهما:

إنَّ المَدَامِع و الزّفيرَ قدْ أَعْلَنا مَا فِي الضَّميرِ
فَعَلاَمَ أَخْفي ظاهرًا سَقَمِي عَليَّ بِه ظَهيرُ
هَبْ لي الرضَا مِنْ ساخطِ قَلْبي بسَاحتِه الأسيرِ[2]

إنّ السقم دليل لا يخفى على العين، لذا لم يتحرج الشاعر من إظهار دموعه و تنهداته فقلبه لا يزال أسيرا لديها مرهونا برضاها،و الأبيات واضحة الألفاظ، جلية المعاني ،لم يلجأ الشاعر إلى تحسينها أو زخرفتها كي تؤدي المعنى المراد.

و في مقطوعة أخرى له، نجده يقول عن الشوق والحنين إلى المحبوب بعين باكية و قلب حزين :

يَا غَائبًا خطراتُ القَلْب محْضَرُهُ الصّبْرُ بَعْدكَ شَيءُ لسْتُ أَقْدِرهُ
ترَكتُ قَلبي وَأَشْواقي تُفطرُهُ ودَمْعُ عينِي وَأَحْدَاقِي تُحَدّرُهُ
لَوْ كُنْت تُبْصر في تدْبيرِ حَالَتنَا إذنْ لأَشْفقْتُ مما كُنْتَ تُبصرهُ[3]

[1]) المرجع نفسه- ص 45

[2]) ابن حداد الأندلسي- الديوان- تح: يوسف علي الطويل- دار الكتب العلمية – لبنان-ط1-1990م-ص222.

[3]) ابن حداد الأندلسي- الديوان- ص209.

عبر الشعراء عن الحنين إلى المحبوب من خلال الرسالة، أو ما كانت العرب تسميه كتابا،إنه لا يحتاج الشاعر لتحبير كتاب إلا الشخص لا يستطيع تبليغه ما أراد بلسانه،و الكتاب رسول بين العاشقين في حال التباعد و الهجر، يجد العاشق فيه أنسا لكونه من معشوقه،و لأنه بداية وصل بعد انقطاع.يقول **ابن حزم:**

جَوابٌ أتَاني منْ كتاب بَعَثْتهُ   فَسكنَ مُهْتاجًا وَهيَّجَ سَاكنًا

سقيتُ بدمعِ العيْن لمَا كتبتهُ   فعَالَ محبُ ليْسَ في الوِدِ خَائنًا

فمَّا زَال ماءُ العَيْن يمْحُو   فيَا مَاءَ عيْني قدْ محوتَ المحَاسنَا[1]

و مما يثير الحنين لدى الشعراء، زيارة طيف المحبوبة ليلا، يقول **ابن خفاجة** في ذلك:

سمحَ الخيالُ علَى النَّوَى بمَزار   والصّبْحُ يمسحُ عنْ جَبينِ نهارِ

فرفعْتُ من نَاري لضيفٍ طارقٍ   يغشُو إليهَا منْ جبالَ طَارٍي

ركَبَ الدُّجَى أحسَن بها مرْكب   وَطَوَى السَّرَى أحبب به منْ سَاري[2]

إنّ زيارة الطيف ليلا من المعاني المطروقة في الشعر العربي عموما، ولكن ابن خفاجة كما هو ملاحظ في قوله: **"والصّبح يمسح عن جبين نهار"**كأنّ الصبح وهو يتسرب برقة إلى الأرض يمسح ظلام الليل ليبدي جبين النهار،و الطيف سار و حط رحله بمنبع الماء و موقد النار،و الماء هو دموع الشاعر و النار موقدها.

و لا تنسى الشاعر **المعتمد بن عباد** صاحب إشبيلية و لا ننسى ولعه و شغفه باعتماد التي قل أن يتغزل بغيرها من خطايا و حريمه، و له أبيات يصف فيها كتابا أرسله إليها،قال فيها :

كَتبْتُ وَعِنْدي منْ فراقِكَ مَا عِنْدي   وَفي كبْدي مَا فِيه منْ لوعةِ الوَجْدِ

وما خَطَّتِ الأقْلامُ إلاَّ وَأَدْمُعي   تخُط سُطُور الشَّوقِ في صفحَة الخدِّ

أَغَائبةٌ عَنّي وَحاضرةٌ مَعِي   لئنْ غبْت عَنْ عيني فإنّكَ في كَبدي[1]

---

[1]) ابن حزم- طوق الحمامة-ص142.

[2]) ابن خفاجة- الديوان-تح: عمر فاروق الطّباع- دار القلم للطباعة و النشر والتوزيع- بيروت- لبنان- 1953م- ج1- ص98.

استخدم المعتمد الرسالة لوصف حاله و ما يعانيه من لوعة مبعثها الشوق و الحب والحنين.

و عليه نفهم من هذا كله أن الحنين إلى المحبوب يعد من أهم المواضيع التي ناقشها شعر الأندلس، حيث استخدموا ألفاظا و معاني رقيقة تصف عمق أشواقهم و وصفوا أيام الفراق و ذكروا أسماء بنات كانوا يحبونهم و لطالما كانوا يكتبون لهن و يعبرون عن حبهم و شغفهم لهن فحبهم كان حبا عذريا و غزليا صادقا خاليا من الأكاذيب و الأهازيل فلوعة حب المحبوبة نار حارقة لا يحس بها غير قلب العاشق الولهان.

[1] المصدر نفسه ن ص

الفصل الثاني

الفصل الثاني: *أدوات التّشكيل الفني والجمالي لتجربة الحنين في نونية ابن زيدون.*

المبحث الأول: التعريف بنونية ابن زيدون

المبحث الثاني: التشكيل اللّغوي والأسلوبي ودوره في بناء القصيدة

أولا: التشكيل اللغوي

أ. من ناحية بناء اللغة الشعرية.

ب. من ناحية العاطفة.

ثانيا: التشكيل الأسلوبي.

أ. الأسلوب الإنشائي.

ب. الأسلوب الخبري.

المبحث الثالث: التشكيل البلاغي ودوره في بناء القصيدة:

أولا: التشكيل البديعي.

أ. المحسنات المعنوية (الطباق والمقابلة)

ب. المحسنات اللفظية (الجناس والسجع)

ثانيا: التشكيل البياني.

أ. التشبيه.

ب. الاستعارة.

ت. الكناية.

المبحث الرابع: التشكيل الموسيقي ودوره في القصيدة:

أولا: الموسيقى الخارجية.

أ. الوزن.

ب. القافية.

ت. الروي.

ثانيا: الموسيقى الداخلية.

أ. إيقاع التكرار.

ب. إيقاع التصريع.

المبحث الأول: التّعريف بنونية ابن زيدون:

نونية ابن زيدون هي قصيدة شعرية كتبها الشاعر الأندلسي **أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي،** المكنى بابن الوليد والمشهور بابن زيدون،وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائد الفراق التي قيلت في تاريخ الشعر العربي.

وأجمل ما قاله في هذه النونية كان في سجنه أو في بعده عن قرطبة متشوقا إليها و إلى حبيبته ولادة بنت المستنكفي، حيث يذكر الشاعر من خلال سوء حاله والظلم الذي لحقه في سجنه كما يتلهف إلى الأيام الحلوة والماضية التي قضاها بجانب محبوبته.

وهذه النونية غدت من عيون شعر الغزل عبر العصور الأدبية، فهي مزيج من العشق والغزل واليأس والأمل، والشكوى والحنين، والتوّسل والحسرة...الخ، فضلا عن حلّة بهيّة من المحسنات البديعية زادت في إبراز معانيها مما جعل عن صبابته حيال ولاّدة في أسلوب الحزن.[1]

وقد وصف ابن بسام هذه القصيدة بقوله: ‹ وهذه القصيدة بجملتها فريدة، وقد عارضه فيها جماعة قصّروا عنه›[2] وقد قيل عنها أيضا أنّه ما حفظها أحدّ إلاّ مات غريبا.

وممّا قاله الفتح بن خاقان في وصفها: ‹وهي قصيدة ضربت من الإبداع بسهم، وطلعت في كلّ خاطر ووهم ونزعت منزعا، قصّر عنه حبيب وابن الجهم›[3]

وأمّا صلاح الدين الصفدي في كتابه تمام المتون فيقول عنها: ‹ ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت في البلاد، وطارت في العباد، وقد اشتهرت حتى صارت مخدورة، فيقال إنّه ما حفظها أحد إلاّ مات غريبا، وعارضها الناس في حياته وبعد موته ولم يقاربوها.›[4]

وهناك العديد من الشعراء الذين عارضوا هذه القصيدة من بينه **أبو بكر بن الملح** و**أحمد شوقي** وغيرهم.

[1]) ديوان ابن زيدون- ص9.

[2]) ابن بسام الشنتريني- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- ص360.

[3]) ابن خاقان الفتح- قلائد العقيان في محاسن الأعيان- ص245.

[4]) صلاح الدين الصفدي- تمام الفنون في شرح رسالة ابن زيدون- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار الفكر العربي- مصر- 1969م- ص13.

وقصيدته النونية هي عبارة عن شعر لعب الحب دورا خطيرا في حياة الشاعر وفي تلوين فيه، ولما كان تعلق الشاعر بولادة قد ألهمه أروع ما صاغه من الشعر، فضلا عن أنّه له خصوما أقوياء شوهوا العلاقات بينه وبين أميره، حتى ألقى به الأمير داخل السّجن، فهي قصيدة تندرج ضمن العاطفة الشعورية الغزلية والتي هي عبارة عن عتاب وشكوى وألم وحنين ورجاء، بحيث يبدوا الشاعر ابن زيدون في غزله ناقما على الوشاة حاقدا على الدّهر واللاّفت في غزل ابن زيدون وفي شعره بعامة، ميله إلى المبالغة التي هدف منها التّأثير في السامع وتحريكه للعواطف.[1]

المبحث الثاني: التشكيل اللّغوي و الأسلوبي ودوره في بناء القصيدة:

أولا: التشكيل اللغوي:

أ- من ناحية بناء اللغة الشّعرية: إنّ كلمة اللغة لها معنيان معنى لغوي و آخر اصطلاحي،ف**المعنى اللغوي** نجد:

لغا: اللغو واللغا: السقيط و لما لا يعتد به من كلام و غيره و لا يحصل منه على فائدة و لا نفع.[2] لقوله تعالى ﴿لاَ يُؤَاخذكُمْ اللهُ باللَّغْوِ في أيمَانِكُمْ وَلكنْ يُؤاخْذكمْ بمَا كَسبتْ قُلُوبُكُمْ و الله غَفُورٌ رحيمٌ﴾[3] ، و اللغو في الإيمان ما لا يعتمد عليه القلب.

وفي المعنى **الاصطلاحي** نجد قول ابن جني للغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[4] ونجد قول ابن حزم أيضا: إن اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها، و لكل أمة لغتهم .[5]

وعليه نفهم أن اللغة عي أساس كل شعر أو نثر عند مختلف الكتاب و النقاد.و يستند الشعر بشكل أساسي على حرفية اللغة وقواعدها وآلياتها ومن ثم تطويع مفرداتها وتوظيفها في بناء القصيدة الشعرية للتعبير المباشر وغير المباشر عن حالة ما،تنتاب

---

1) ابن زيدون- الدّيوان- ص59.

2) ابن منظور- لسان العرب- ص946.

3) سورة البقرة- الآية 225.

4) أبو الفتح عثمان بن جني- الخصائص- دار الكتب العربي- بيروت- لبنان- ج1- 1952م-ص81.

5) ابن حزم- الإحكام في أصول الأحكام- دار الفكر- القاهرة- ج1- 1978م- ص79.

أحاسيس الشاعر و تثقل وجدانه فيعبر عنه بصياغة شعرية محكمة التشكيل اللغوي،كما أنها تمثل ذلك النسيج الشعري بما تحمله من مفردات لغوية وصور شعرية مركبة بأنساق مختلفة تخرج بدلالات جديدة تتماشى مع تجربة الشاعر،و تمثل اللغة الشعرية المعيار الذي نميز به بين الشعر والنثر.[1]

حيث يشير **جون كوهين***:إلى مفهوم اللغة الشعرية باعتبارها انزياح عن لغة النثر،و ذلك أن لغة النثر توصف

بأنها لغة الصفر في الكتابة و الانزياح عنها يعد دخولا في اللغة الشعرية التي تعني ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب.[2]

وعلى غرار ذلك تمتاز اللغة الشعرية بوصفها لغة أخرى عكس اللغة الاعتيادية بقيم تعبيرية عالية، تميز توقيعات الشاعر الأسلوبية،و تعين صفته الشعرية بالاستنباط والاستكشاف ومن غاياتها أنها تثير وتحرك و تفاجيء وتدهش وتهز الأعماق، ومن هنا وصفت بأنها أهم سمة من سمات التكوين الشعري،لأنها أنشأت جدة قائما على ضروب من التفاعل في تشكل قضاء القصيدة العام.

تقوم لغة الشعر في جوهرها على التجريب و الانفعال الحسي،القاضي باستدعاء الكلام الجديد الذي لم يسبق إليه الشعراء من قبل،فتصبح لغة مبتكرة تلغي تماما نظرية الانعكاس،حيث تنتقل من التعبير إلى الخلق و لم تعد اللغة الشعرية واسطة الإيصال المعلوم باحترافية الخلق اللغوي تمكن من إفراغ اللغة من معانيها المعبأة بها سابقا والتي اجترها اللسان من ردح الزمن إلى لغة جديدة بإعادة شحنها من جديد و تفعيل كل عناصرها.[3]

وفي مجمل القول فإن ركيزة الشعر تتمثل في اللغة الشعرية، اللغة التعبيرية الجميلة التي تعكس تجربة الشاعر وهي اللغة التي تتميز عن سواها من حيث مضمونها وبنيتها

---

[1]) محمد عبدو فلفل- التشكيل اللّغوي للشّعر- مقاربات في نظرية التطبيق- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق- ص14.

[2]) محمد عبدو فلفل- التّشكيل اللغوي للشّعر- ص14.

[3]) محمد بلعباسي- القصيدة الجزائرية المعاصرة- بحث في الكشف عن آلية تركيب لغة الشعر- أطروحة دكتوراه- كلية الآداب و الفنون- جامعة أحمد بن بلّة- وهران-2014/2015م- ص89.

الفعالة بدءا بانتخاب الألفاظ والقدرة على انتقاء اللغة المناسبة المشتركة في عاطفة الشاعر و في كتابته للقصيدة .

فاللغة تعد عنصرا أساسيا في العملية الشعرية و التي يضع بواسطتها الشاعر قصيدة و يبرز من خلالها ذاته و شخصيته فهي بذلك أداة تعبير، ولهذا وجب على الشاعر أن يتعامل مع اللغة تعاملا يتعدى التعامل العادي،فيبتعد عن التقرير و السطحية لأن اللغة الشعرية هي أداة تعبير فحسب.[1]

فمن خلال اللغة ينقل الشاعر أفكاره ومعاينه فهي أداته ووسيلته في ذلك، فهي ليست غاية في حد ذاتها بل لا بد استعمال اللغة المرنة قصد إخضاعها للمعاني اللغوية.[2]

اللغة هي مادة الأديب يمكنه بواسطتها التعبير عن تجربته الفنية و توصيلها إلى الآخرين، وإن الوظيفة الأساسية للغة البشرية هي السماح لكل إنسان أن يوصل لنظائره تجربته الشخصية.[3]

والشاعر المتمرس يحسن صياغة اللغة،و نجد قصائده تنساب عذوبة و حسنا،و هو ما نجده بارزا في شعر ابن زيدون،فهو ليس الشاعر الوحيد الذي كتب عن الحب وما يلحقه من آمال وآلام وأشواق إلا أن سر نجاحه في كونه استطاع انتشال قصيدته من التقليد و أسره صانعا خصوصية التميز و الجمال[4]،و هنا يقول ابن زيدون في هذه الأبيات التي بعثها إلى حبيبته ولادة و التي يصور لنا من خلالها معاناته الكثيرة جزاء فقدها وهجرها:

أَضْحَى التّنَائي بَديلاً مِنْ تَدَانينَا   وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيَانَا تَجَافينَا

نَكَادُ حينَ تُنَاجيكُمْ ضَمَائرُنَا   يَقْضي عَلَيْنَّا الأَسَى لَوْلا تَأَسينَا

[1]) نوري جعفر- اللغة والفكر- مكتبة التومي- الرباط- 1971م- ص57.

[2]) م.ن- ن.ص.

[3]) جون كوين- اللغة العليا- تر: أحمد درويش- المجلس الأعلى للثقافة- 1995م- ص28.

[4]) عباس علي الفحام- عناصر الفجاءة في نونية ابن زيدون- مجلة العلوم الانسانية- كلية التربية- جامعة بابل- العراق- صفي الدين الحلي- العدد6- 2011م-ص 17.

حَالَتْ لِفُقْدِكُمْ أَيّامُنَا قَعَدَتْ سُودًا وَكَانتْ بِكُمْ بيضًا لَيَالينَا[1]

ب_ من ناحية العاطفة:

إن الكلمة هي وحدة البناء الفني للشعر،و هي من أقوى العوامل التي تتوقف عليها القيمة الجمالية لأي عمل أدبي،حيث حرص الشعراء منذ القدم على أن تكون أعذب لفظا أصح معنى وأكثر اتساقا مع الجملة التي ترد فيها"الأداء الفني الجميل أساس الدقة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها إذ ليس هو في مجموعة إلا طائفة من الكلمات المؤلفة المعبرة".[2]

من هنا استطاع الشاعر أن يؤلف بين الكلمات قطعا شعرية يضفي عليها من نفسه وروحه ما يجعلها تعبر عن مشاعره و تعانق عواطفه.

كان للعاطفة أثرها البالغ في شعر الحنين"فالعاطفة هي الانفعال النفسي المصاحب للنص".[3]

والعاطفة تحرك نفسي،بينما الفكرة شيء عقلي،فالذهاب إلى الحديقة مثلا فكرة لكن حب الذهاب إليه والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة.[4]

وشعر الأندلس إذا ما أحصيناهم فيما يخص العاطفة،فسنجد أن جلهم اتفقوا على التعبير الصادق عن عواطفهم في شعر الحنين و غيره من المواضيع المتعلقة بتجارب الشاعر المفرحة و المفجعة، وذكرياته وأهوائه، فلم يعرف شعرهم بالمبالغة في وصف المشاعر ولا الزيف بل اتسمت أشعارهم في الحنين بصدق العاطفة وعمق الشعور في لغة تطابق ما يحسون به دون تكلف أو مبالغة و هذا لأن الشاعر الأندلسي عرف حقا معاناة الغربة و البعد عن الأهل، كما عرف الحنين وعاشه.

[1]) ابن زيدون- ديوان ابن زيدون- ص09.

[2]) لسان الدين بن الخطيب- ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام- ص573.

[3]) عبد الحكيم بلبع- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه- مطبعو لجنة البيان العربي- القاهرة- ط2- 1975م- ص214.

[4]) عبد القادر أبو شريفة- مدخل إلى تحليل النّص الأدبي- دار الفكر- عمان- 1990م- ص25.

والعاطفة هي لب الفنون وعمادها، وهي المعزف الذي تصح به أوتار الأدب، وعليه يعزف الأديب وهي الشرفة التي يطل منها على ما تنطوي عليه النفوس من ألم وأمل، والمنفذ الذي يصل منه إلى القلوب وهي ترجمان لما يمكن من مظاهر الحياة الطبيعية و الاجتماعية و هي التي توجه الفن إلى المثل العليا في الحياة.[1]

إن أهم صفات الأدب أن بكون طبيعيا، وأن يكون صادقا،فصاح عن المعاني الحيوية، دقيقا في تصوير النزعات و ما يتغلغل في الصدر من ميول و آمال،و أن يعرف لكل هذا في غير تكلّف.[2]

وصدق العاطفة يعني صدق الشاعر في شعره عن إحساس صادق ألم به، فصدق الشعور من أقوى أساليب الإجادة الشعرية لدى الشاعر،و الصدق العاطفي و صدق الاعتقاد عند الشاعر باعث قوي على انفعال الآخرين بشعره و تأثرهم بنتاجه.[3]

فالشاعر الأندلسي مرتبط بأهله و متعلق بوطنه محب له، حتى إذا ما ارتحل عن أهله ووطنه حن إليهم،وخفق قلبه شوقا إلبهم.

فقد سطر شعراء الأندلس بشعرهم أسمى صفحات الحب و الوفاء لأوطانهم و هم على ترابه،حتى إذا ما دفعتهم الظروف السياسية و الفتن الداخلية إلى الخروج من أوطانهم فاضت أشعارهم بالشوق و الحنين إلى الوطن،و بالألم و العذاب بسبب الغربة و البعد عن الديار، فقد خلف لنا هؤلاء الشعراء شعرا في الحنين يتميز بصدق العاطفة و فيض الشعور و عمق التجربة و رهافة الحس و الانفعالات الإنسانية الفياضة و المتدفقة المتعلقة بنيران الحزن،فنجد الشاعر أبو الحيان الغرناطي يصف لنا شوقه و حنينه إلى وطنه في قوله:

هَلْ تَذْكُرُون مَنَازلاً باللأَجْبُل   وَمَنَازِلُهاَ حُقَتْ بِشَطّيْ شُنَلِ

وَمَشاهدًا وَمَعَاهِدًا وَمَنَاظرًا   لْلْقَاصرَاتِ اليَعْمَلاتِ الذُبُلِ[4]

---

1) عبد الحميد حسين- الأصول الفنية للأدب- مكتبة الأنجلو المصرية- مصر- 1964م- ص71.

2) المرجع نفسه- ص76.

3) عيسى علي العكوب- العاطفة والإبداع الشعري- دار الفكر- دمشق- ط1-2002م-ص280.

4) خالد البلوي- تاج المفرق تحلية علماء المفرق- تح: الحسن سائح- مطبوعات قضاله- العراق- د.ت- ط2- ص26.

فهذه الأبيات تعبّر عن مدى تعلق الشاعر بوطنه وانبهاره بجماله، فهو شاعر مرهف حسّاس، مضطرم العاطفة سريع التأثّر والانفعال، تصدر أبياته عن عاطفة صادقة وشوق عارم عاشه الشاعر ويقول ابن فركون في حنينه:

أَحْيَانًا هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوى طَمْعُ   في القُرْب وَأَهلِ زَمَان الأُنْسِ يَرْتجعُ

إِذَا تَذَكَّرْتُ مَابيني وَبَيْنَكُمْ   يَكَادُ قَلْبي في ذكْراهُ يَتَصدَّعُ[1]

فعاطفة الشاعر من خلال هذه الأبيات حزينة فالشاعر يتمنى عودة أيام الأنس لأنّه ذاق مرارة البعد عن أحبابه، فهو يصف مدى تفطر قلبه من الألم لفراق أحبابه، ويظهر الصدق جليا في عاطفة الشاعر المجيد، وحاضره التّعيس يضع أمامنا صورة تقابلية لعواطفه متعاكسة بين الأنس والفراق وبين الأنس والحزن.

فشعر الحنين اتّسم أيضا بصدق الشعور، فتارة يصور لنّا الألم والعذاب عندما يكون الشاعر مقهورا منكويا بنار الشوق بلا أمل في صلاح أحواله، وتارة نجده فرحا حين يكون بصدد تذكر أيام الأنس والصبا والاجتماع، بمن يحب من الأهل والأقارب، فقد تراوحت العاطفة في شعر الحنين بين الألم والصبر والضيق والأمل، ولكن أغلب ما في شعر الحنين هو العاطفة السلبية كالحزن واليأس، والقنوط والخوف.

وعليه فالعاطفة في شعر الحنين تلعب دورا بارزا في قصائد الشعراء الأندلسيين بحيث هي الوسيلة الأولى في البدء في التعبير عمّا يخالج شعور الشاعر وما يدور في خاطره.

ثانيا: التّشكيل الأسلوبي:

Style يعرف الأسلوب بأنّه السّطر من النّخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب و الأسلوب الطريق والوجه والمذهب: يجمع: أساليب.[2]

[1]) ابن فركون- ديوان ابن فركون- ص259.

[2]) ابن منظور الإفريقي- لسان العرب – مادة سلب- ص496.

أمّا اصطلاحا: فتعددت التعريفات بحسب نظرة من تحدّث عن الأسلوب ولعلّ شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني يعطي تعريفا مختصرا شمل فيه كل النّواحي الخاصة بهذا المصطلح يقول: ‹ الأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه›[1]

أمّا ابن خلدون فيذكر كلاما جميلاً في تعريفه لمدلول لفظة الأسلوب فيقول: هو عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التّراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصّناعة الشعرية، وإنّما ترجح إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التّراكيب وأشخاصها ويصوّرها في الخيال كالقالب أو المنوال، ثم ينتقي التّراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، كما يفعله البناء في القالب أو النسّاج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام.[2]

فالأسلوب طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير، أو الضرب من النظم الطريقة فيه.[3]

وفي الأسلوب نوعان: أسلوب إنشائي وأسلوب خبري، وهذا ما سنناقشه في نونية ابن زيدون:

- **الأسلوب الإنشائي:**

هو أسلوب الكلام الذي لا يصح أن يوصف قائله بالصدق أو الكذب، والإنشاء طلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب[4]، ويعطي الأسلوب الإنشائي للشعر حيوية، إذ يتمتع بالقدرة على جذب انتباه المتلقي بواسطة الصور التي يجيء عليها مثل: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، والنداء...الخ.

---

[1]) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- تح: محمود شاكر- مكتبة مطبعة المدني- القاهرة- ط3- 1992م- ص468.

[2]) ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- تح: خليل شحادة- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط2- 1988م- ص786.

[3]) أحمد الشايب- الأسلوب- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ط7- 1973م- ص44.

[4]) القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- ص174.

ولقد تعددت الأساليب في شعر الحنين عند الأندلس، فكل كان يعبّر بأسلوبه الخاص فمنهم من كان يستهل قصيدته باستفهام أو بنداء أو أن يختمها بالتمني كتمني اللقاء والعودة إلى الوطن والأهل، فلكل أسلوب من هذه الأساليب الإنشائية غرض يرمي إليه الشاعر من خلال توظيفه لها في أشعاره.

1) أسلوب الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأحد أدوات الاستفهام، الهمزة، هل، من، متى، أيّان، كيف، أين، كم، أي وغيرها[1]، ويعد الاستفهام من الأساليب التي تردّدت كثيرا في نونية ابن زيدون، بحيث شكل لوحده ظاهرة أسلوبية من خلالها استطاع الشاعر أن يبثّ همومه وأحزانه ولقد وردت في ثنايا قصيدته أساليب إنشائية مختلفة وبرزت أولها في البيت الثامن في قوله:

ياليت شعري ولم نعتب أعاديكم   هل نال حظًا من العتبى أَعادَينَا[2]

وهو إنشاء طلبي غرضه التمني، كما أنّه مازج بين الأسلوب الخبري والإنشائي في قوله: "هل نال من العتبي" حيث ورد الاستفهام في عجز البيت مخبرا يعرف منه اللوم والعتاب دون الطّلب.

وفي البيت الحادي عشر من القصيدة نلمس استفهام آخر غرضه التحسّر في قوله:

كنّا نرى اليأْسَ تُسلينا عَوارضه   وقد يئسنا فَمَا لليأْس يغرينَّا[3]

وفي البيت التاسع عشر استعمل الشاعر صيغة القسم "والله ما طلبت" وهي صيغة تندرج ضمن صيغ الأساليب الإنشائية غير الطلبية:

2- أسلوب النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب، مناب، أنادي، وأدواته هي: الهمزة، أي، يا، أيا، وا...الخ[4], وقد تردّد النداء في النونية في قول ابن زيدون:

وَيَا نسيمُ الصبا بلّغ تحيّتنا   من لو على البعد حيّا كان يحيينًا[5]

وفي البيت الثلاثين و البيتين الآخرين:

وَيَا رَوْضَة طالَما أجنت لواحظنا   ورد إجلاه الصبا غضّا ونسرينا

---

[1]) القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- ص178.
[2]) ابن زيدون- الديوان- ص59.
[3]) المصدر نفسه- ن.ص.
[4]) القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- ص180.
[5]) ابن زيدون- الديوان-ص59.

ويا حياةٌ تمليّنا بزهرتِها   من ضروبنا ولذّات أفانينا
ويا نعيما خطرنا من غضارته   في وشي نعم سحبنا ذيله حينا

وممّا يميّز هذا الأسلوب أنّ الشاعر كان يرتكز على مناداة العناصر الطّبيعية وتشخيصها، وما يلاحظ في استخدام الشاعر لأداة النداء"يا" لنداء البعيد، أنّها جاءت ملازمة للفترة التي يسترجع فيها الشاعر زمن الماضي بذكرياته الجميلة.

3- أسلوب الأمر: نجد الشاعر الأندلسي ابن زيدون عمد إلى مناجاة الطّبيعة من خلال صيغة النّداء "يا" في قوله:

يآ ساري البرْقِ غاد القصر واسق به   منْ كَان صرْف الهَوى و الوّد يسقينَا
واسألْ هناك: هل عنى تذكرنا   إلفا، تذكرّه أمسى يعنيناَ؟[1]

كما مازج بين صيغة النداء وصيغة الأمر في صدر البيت في قوله: اسق، بحيث خرجت هذه الصيغة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي يفهم من سياق الكلام وهو الدّعاء، وفي قوله: "واسأل هناك"، نجده استعمل صيغة الأمر في موضعها الحقيقي ممّا زجا إيّاه بصيغة الاستفهام في قوله: "هل عنّى تذكرنا"، وفي قوله:

دومي على العهد ما دمنا محافظة   فالحر من دان إنصافا كما دينا[2]

نجد خروج صيغة الأمر إلى نفس الغرض المجازي وهو الدّعاء.

ب-الأسلوب الخبري:

هو الأسلوب الذي يحتمل الصدق و الكذب لذاته، والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع ويكذب الخبر عدم مطابقته للواقع.[3]

أضرب الخبر في نونية ابن زيدون: ينقسم الكلام العربي إلى خبر وإنشاء، فالإنشاء هوما لا يصح أن يقال لقائله، إنّه صادق أو كاذب وقد شرحنا هذا في الأسلوب الإنشائي، أمّا الخبر

[1]) ابن زيدون- الديوان- ص59.
[2]) المصدر نفسه- ص59.
[3]) القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- 180.

فهوما يحتمل الصدق والكذب على حساب التعريف السابق وينقسم بدوره إلى جملة فعلية واسمية.[1]

1. تعريف الجملة:

لغة: والجملة جماعة الشيء وأجمل الشيء جمعه عن تفرّقه وأَجْمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره يقال: أجملت له الحساب والكلام[2]، قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ الذين كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّل عَلَيْهِ القُرْآن جُمْلَةً واحِدَةً﴾[3]

اصطلاحا: اختلف علماء النحو في تعريف الجملة فذهب المتقدمون منهم إلى أنّ الجملة ما تكوّن من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفادت كقولك: زيد قائم أو لم تفد كقولك إن يكرمني[4]، وتنقسم إلى:

جملة اسمية: وهي ما بدئت باسم نحو قوله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالحًا فَلِنَفْسهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[5].

وجملة فعلية: وهي ما بدئت بفعل نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ﴾[6]

وأضرب الخبر ثلاثة وهي :

- إن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر عن الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لمَنْ اشْتَرَاهُ مَالَهُ في الآخرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُوا به أَنْفسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[7]، **ويسمى الخبر الابتدائي.**

- وإن كان متصورا لطرفيه، مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر متطلعا إلى مقطع اليقين فيه فينبغي توكيد الكلام له وتقويته بموكدّ واحد تمكينا له في نفسه، نحو قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لله وملاَئِكَتِهِ وَرُسُلُهِ وَجِبْرِيلَ وَميكَالَ فإنَّ اللهُ عدوٌّ للْكَافرينَ﴾[8] **ويسمى الخبر الطّلبي.**

---

[1]) محمد الطاهر اللادقي- المبسط في علوم البلاغة- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- 1426ه/2005م-ص27.

[2]) لسان العرب- ج13- ص889.

[3]) سورة الفرقان- الآية 32.

[4]) علي بن محمد الشريف الجرجاني- معجم التعريفات-تح: محمد الصديق المنشاوي- دار الفضيل للطباعة و النشر والتوزيع – القاهرة- د.ط- 2004م-ص70.

[5]) سورة الجاثية- الآية15.

[6]) سورة المؤمنون- الآية 01.

[7]) سورة البقرة- الآية102.

[8]) سورة البقرة- الآية98.

- إن كان المخاطب حاكما بخلاف الخبر منكرا له، وجب توكيده له حسب درجة الإنكار نحو قولك: إنّي لصادقٌ، **ويسمى الخبر الإنكاري.**[1]

وعليه من هذا المنطلق نكتشف أهم الأساليب الخبرية في ننونية ابن زيدون:

أولا: الخبر الابتدائي: نجد قوله:

غيض العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ فقال الدّهر آمينا[2]

وقد جاء على صيغة الخبر الابتدائي بحيث جاء خاليا من أدوات التوكيد.

لقد شاع الخبر الابتدائي في ثنايا القصيدة فبرز في كل من الأبيات: التاسع و الأبيات المحصورة بين (11-16) والأبيات الأخرى المحصورة بين(30-42) ولا ننسى البيت الأخير من النونية.

ثانيا: الخبر الطّلبي: جاء في القصيدة قوله:

ألاّ وقد حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا للحين داعينا[3]

وقد استعان في هذا البيت بأداة تأكيدية واحدة للخبر "ألا" وهي حرف تنبيه.

وفي قوله في البيت الذي يليه:

من مبلغ المُلْبسينا بانتزاحهم حزنا مع الدهر لا يبلي ويبلينا[4]

وهنا يظهر الأسلوب الخبري الطلبي واضحا متجليا بصيغة من وهي من الحروف الزائدة

وفي البت الرابع قوله:

أنّ الزمان الذي مازال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا[5]

وهنا يؤكد الشاعر أن الحزن مازال مرافقا له معبّرا عنه بأداة التّوكيد "أنّ"

بالإضافة إلى البيت الواحد و العشرون مؤكدّا على الأسلوب الطلبي بالحرف الزائد "من" والبيت الثالث والأربعون بالحرف الزائد"لا"، وقد ذكرنا بعض الأبيات التي تخص الأسلوب الخبري ناهيك عن بعض الأبيات التي لا تزال فيها الحروف الزائدة الخاصة بالأسلوب الطلبي.

---

[1]) عبد المتعال الصّعيدي- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح- مكتبة الآداب- القاهرة- 2005م- ج1- ص44.

[2]) ابن زيدون- ديوان ابن زيدون- ص59.

[3]) ابن زيدون- ديوان ابن زيدون- ص59.

[4]) المصدر نفسه- ص 59.

[5]) المصدر نفسه- ص59.

ثالثا: الأسلوب الإنكاري:

نجد الأسلوب الإنكاري واضحا في قوله في البيت السابع من النونية:

وقَدْ تكون وما يخشى تَفَرُقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

حيث اعتمد فيه الشاعر على أداتين لتأكيد الخبر والمتمثلة في حرف الزائدة المستعملة مرتين واحدة في صدر البيت والأخرى في عجزه، ذلك لاستنكار الفراق وانقطاع الوصل والحالة اليائسة التي آل إليها.

بالإضافة إلى البيت التاسع والثلاثون فقد أكّد فيه الخبر الإنكاري بحرفين **لا** و **أن** على غرار البيتين الخامس والأربعون مؤكدا على الخبر بتكرار أداة النفي **لا** مرتين و الحرفين الزائدين **ما** و**من.**

نستخلص من كل ما سبق أنّ الشاعر ابن زيدون قد اعتمد في بنائه الأسلوبي على الأسلوب الخبري بأنواعه الثلاثة، الابتدائي والطّلبي والإنكاري بالدرجة الأولى، ذلك لأنّ الشاعر ينقل لنا تفاصيل حبّه لولادّة بنت المستكفي وتبدّل حاله وما حدث بينه وبينها، فكانت بذلك الجمل الخبرية تتحدث عن نقل تلك الوقائع ، ولكن غلبة الجمل الخبرية لا تنفي وُرُود الجمل الإنشائية الطلبية، وغير الطلبية في النص الشعري، من أمر واستفهام وتمني ونداء وقسم وغيرها حفاظا على القيمة الفنية للنص الشعري.

المبحث الثالث:التشكيل البلاغي و دوره في القصيدة:

التشكيل البلاغي و نقصد به الأنماط و الوسائل البيانية و البديعية القديمة و هي التشبيه، الاستعارة، الكناية والبديع، ويقوم التشكيل البلاغي عموما بإعادة تشكيل العلاقات بين الأشياء أو الخروج بها إلى عناصر جديدة فيها قدر من الوهم القائم من جانب المبدع من ناحية ثم من جانب المتلقي حال استقباله العمل في شكله الجديد ومدى استيعابه له وانفعاله به وتجاوبه معه من ناحية أخرى.[1]

والبلاغة في الاصطلاح تأدية لمعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلّاب، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه،و الأشخاص الذين يخاطبون.[2]

[1])عصفور جابر- الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب- المركز الثقافي العربي_بيروت- ط3-1992م - ص 14

[2])علي الحازم و مصطفى أمين- البلاغة الواضحة البيان- المعاني-البديع- دار المعارف- مجهول السنة- ص80

ولا ننسى أن التشكيل البلاغي يعتمد على علم البديع، الذي يزيد الكلام حسنا طلاوة ويكسون بهاء ورونقا وعلم البديع نوعان المحسنات المعنوية و اللفظية.

أ- المحسنات المعنوية: و هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا و بالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ بالطباق و المقابلة.[1]

فالطباق مصطلح بلاغي ينتسب إلى البديع، وقد صنف ضمن المحسنات المعنوية التي تهتم بناحية المعنى ومن ثم لم ينظر في أهميته الموسيقية وقيمته الصوتية و الايقاعية الحاصلة على تضاد الألفاظ و تقابلها،فالطباق"يعني المطابقة بين كلمة وأخرى مضادة لها في المعنى و بذلك تتولد ضدية و فجوة نفسية بين هذين المتضادين، ومن التسمية نلاحظ شيئا من المعنى الموسيقي إذ عبر عن التضاد بالتطابق."[2]

وقدامة بن جعفر أطلق عليه بالتكافؤ و هو قريب لمصطلح المطابقة و التكافؤ عنده أن يأتي الشاعر بمعنيين متكافئين و متقاربين الاتضاد اللفظتين في المعنى أو بالسلب أو بالإيجاب.[3]

ونلاحظ أيضا أن نقادنا القدامى من خلال هذا الوصف لهذه الظاهرة قد أدركوا القيم الدلالية والصوتية الإيقاعية على الرغم من أنّ هذه الظاهرة تجذب انتباها أكثر من خلال الصوت والوزن والعروض كما عرف هذه الظاهرة الجرجاني بقوله:"مقابلة الشيء بضده"[4]و قسمه قدامة بن جعفر من حيث الإثبات و النفي إلى نوعين:

الأول **طباق إيجاب** يجمع بين لفظين مثبتين متقاربين، وآخر **طباق سالب** وهو أن يجمع بين اللفظ و منفيه ويأتي أيضا الطباق في الحروف والأفعال و الأسماء،[5] ومن خلال استقرائنا لشعر ابن زيدون نجد أن ظاهرة الطباق وردت بشكل واسع و متنوع و بأساليب متنوعة تمكن من خلالها ابن زيدون إثبات المعنى في ذهن السامع هذا أولا،و زاد الطباق لإيقاع للشعر جرسا موسيقيا منسجما مع الوزن العروضي فضلا عن ذلك لا بد أن نعلم أن التضاد

---

[1])علي الحازم ومصطفى أمين- البلاغة الواضحة ص89

[2])المرجع نفسه ص90

[3])قدامة بن جعفر- نقد الشعر-ص143

[4])عبد القادر الجرجاني- أسرار البلاغة ص15

[5])المصدر نفسه-ص16

بين الألفاظ لا ينظمه إلا الشاعر المتمكن في قول الشعر و يتمتّع بميزات وقدرات مميّزة في الأفكار والخيال والبناء ورسم الصور بأحسن تركيب وهذا الاستخدام الأسلوبي يمنح الشعر طلاوة و يجذب انتباه المتلقي إلى أن الشيء و نقيضه حين يجتمعان يبرز كل منهما ما في الآخر من جمال ز يزيد في تعميق وقعه في النفوس ويعد ابن زيدون واحد من الشعراء العرب الذين أكثروا من استخدام المقابلة و التضاد بدرجة عالية من الجودة و البراعة والإبداع والمقابلة عنده لم تكن جزئية، إنما كانت مقابلة على مستوى بنية النص،والمقابلة هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم يقابلها بما يقابلها على الترتيب[1] قوله تعالى ﴿فأمَّا مَنْ أعْطى وَاتقّى وَ صَدقَ بالحسنَّى فسنيَسره لليُسْرى وأمَّا مَنْ بخل واستغْنى وكذَّب بالحسنَّى فسنيسّره للعسْرى﴾[2]

إلى هنا نذكر أهم أساليب الطباق و المقابلة في نونية ابن زيدون في قوله:

أضحى التّنائي بديلا عن تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

أنّ الزمان الذي مازال يضحكنا   أنسا بقربهم قد عاد يبكينا

فانحلّ ما كان معقودا بأنفسنا   وانبتّ ماكان موصولا بأيدينا

بنتم وبنّا، فما ابتلّت جوانحنا   شوقا إليكم لولا جفّت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت   سودا وكانت بكم بيضا ليالينا[3]

تحفل القصيدة بالكثير من المقابلة و بالتّضاد و نلاحظ في الأبيات السابقة أنّ ابن زيدون قد استخدم هذه الخاصية الأسلوبية في قوله:

التنائي ← تدانينا

طيب لقيانيا ← تجافينا

يضحكنا ← يبكينا

---

1)عبد القادر الجرجاني- أسرار البلاغة ص17

2)سورة الليل-الآية 5-10

3) ابن زيدون- الدّيوان- ص59.

فانحل معقودا ⟵ وانبت موصولا

مابتلت جوانحنا ⟵ ولا جفت مآقينا

سودًا ⟵ بيضا

أدت كثرة استخدام المقابلة و التضّاد في هذه القصيدة إلى تعميق المعاني التي توضح المفارقة بين حالين:ماضي وحاضر وبين شخصين، ناء وقريب وبين موقفين، هاجر وراغب في الوصال، و قد أعطى هذا الأسلوب للقصيدة القدرة على اقتحام القلوب و متعة الفكر.[1]

ب-المحسنات اللفظية{الجناس والسجع}:

الجناس يعني الاتفاق في الحروف أو في بعضها مع اختلاف المعنى،جاء في معجم المصطلحات العربية:تشابه اللفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى، وهو إمّا تام إن اتفق اللفظان في عدد الحروف و نوعها و شكلها وترتيبها، وإما غير تام إن اختلف اللفظان في واحد من هذه الأربعة،[2] فالجناس يعتمد على التكرار في بنائه،إذ تتكرر اللفظة أو الكلمة الأخرى، و ما يميز ذلك التكرار أنّ المعنى يختلف بين اللفظين بينما في التكرار اللفظي يتطابق معنى اللفظ المكرر[3]،و تكمن أهمية الجناس في موسيقى النص الشعري في تقوية النغم الموسيقي بين اللفظتين المتجانستين،حيث تزيد و تؤكد النغم ورنته، فضلا عن الانسجام مع المعاني ورنة الألفاظ وهذا يعد من أسرار الجمال الصوتي والوزني فيثير فينا نشوة الحدس ويدفع بالذهن إلى الانتباه والتفريق بين اللفظتين.[4]

[1])فوزي خضر-عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون – الكويت- 2004م- ص151

[2])مجدي وهبة وكامل المهندس- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب- مكتبة لبنان- بيروت- ط2-1984م- ص138

[3])قدامة بن جعفر- نقد الشعر- ص160

[4])ابن رشيق القيرواني- العمدة- ج1- ص331

ويأتي الجناس بصيغ مختلفة ما يكون الجناس تاما أو ناقصا، والتام ما تماثل ركناه لفظا وخطا واختلافا في المعنى من غير تفاوت في تركيبهما واختلاف في حركتهما أي اتفقا في الحروف و الحركات و التركيب و عكس ذلك يطلق عليه بالجناس غير التام أي الناقص.[1]

وقد نال الجناس كغيره من المحسنات البديعية حظا في شعر ابن زيدون وخاصة في نونيته ويتجلى ذلك في قوله:

أَلاَ وَقَدْ صبح البين صبحنا حين فقام بِنًّا للحين داعينا[2]

وفي هذا البيت يتجانس "الحين" بمعنى الزمن مع الحين بمعنى الهلاك وهنا يتحول زمن سعادتها إلى النقّيض تحولاً من الحياة إلى الموت[3]وفي قوله:

نّكادُ حينَّ تُناجيكمْ ضَمَّائرُنّا يقْضي عَلَّينا الأَسى لولا تأْسينا[4]

فلفظة الأسى بمعنى الحزن وتأسينا بمعنى تعزينا فالجناس هنا غير تام وكذلك في قوله:

لسيق عهدكم، عهد السرور فمّا كنتم لأرواحنا إلاّ رياحينا

ويجانس الشاعر هنا بين أرواحنا ورياحينا وهو كذلك جناس غير تام.

وعليه فالجناس بنوعيه تام وغير تام في نونية ابن زيدون، قد أصدر نغمًا موسيقيا طريفا، وممّا هو ملاحظ أنّ الشاعر متأثّر بعصره كثيرا، فشعراء عصره اهتموا بالتّأنّق اللّفظي والتّسجيع وغيرها من المحسنات البديعية، وقد تأخر شعراء الأندلس في اللحاق بشعراء المشرق من حيث قوة الأفكار وعمق المعاني، إلاّ أنّ ابن زيدون استطاع أن يمنح كثيرل من أبياته رنّات إنسيابية تلقائية وعفوية بعيدة عن التّكلف.

السّجع: هو تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة[5]، وفي تعريف آخر للسجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير وأفضله ما تساوت فقره، فالسجع لا يخلو من الفاصلة والفقرة، فالفاصلة هي الكلمة الأخيرة من الفقرة أو القرينة، والفقرة أو القرينة بمعنى واحد وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة، وأما أفضله ما

[1]) علي صدر الدين بن المعصوم المدني- أنواع الربيع في أنواع البديع-تح: شاكرها دي شكر- مطبعة النعمان- النجف الشرف- ط1- 1968م- ج1- ص148

[2]) ديوان ابن زيدون- ص 59.

[3]) فوزي عيسى- في الأدب الأندلسي- ص157

[4]) ديوان ابن زيدون- ص 59.

[5]) بسيوني عبد الفتاح فيود- علم البديع- دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة- 2011م-ص 289.

تساوت فقره وهو ثلاثة أقسام: وهي السجع المطرف، السجع المرصع، والسجع المتوازي، وسنبينها في نونية ابن زيدون.

1- سجع مطرف: و هو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت[1]، ومثال ذلك في النونية قوله:

أنّ الزّمان الذي مازال يضحكنّا أُنْسًا بقربهم، قَدْ عَادَ يُبْكينًّا

نجد لفظ السجع في الكلمتين: يضحكنا ويبكينا ونوعه سجع مطرف فهما متفقان في التّقفية ومختلفان في الوزن، مع أنّ تقفيتهما: **(ن+ا)** ووزنهما في الأوّل: يضحكنا هو: **يُفْعِلُنَ** والثاني يبكينا هو **يُفْعِلْنَ.**

2- سجع مرصع: وهو أن يكون ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره في الوزن والتقفية[2]، كما في قوله تعالى:﴿ إِذاَ رَجَّت الأَرْضُ رَجًّا وسبّت الجِبَالُ سَبًّا﴾[3]، في هذه الآية سجع مرصع لأنّ فيها اتفاق ألفاظ الفقرتين في الوزن والتّقفية.

3- سجع متوازي: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزنا وتقفية[4]، ومثال ذلك قول ابن زيدون في نونيته:

أضحى التّنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

نجد لفظ السجع في الكلمتين: تدانينا وتجافينا وتسمى بالسّجع المتوازي لأنّهما متفقان في الوزن و التقفية، مع أنّ وزنهما: **تفاعيل** وتقفيتهما **(ن+ ا)** إلاّ أنّ الفاصلتين اتفقتا عند الفقرة في الوزن والتقفية.

وعليه فلقد لعب الجناس والسجع دورا هامّا في نونية ابن زيدون بمختلف أنواعهما ممّا أدى إلى زيادة القصيدة جمالا ورونقًا وإيقاعًا موسيقيًا عذبًا يجذب أذن السامع إليه ويتغنّى به.

---

[1]) بسيوني عبد الفتاح فيود- علم البديع- ص295.
[2]) المصدر نفسه- ص296
[3]) سورة الواقعة- الآية 4-5.
[4]) عبد الفتاح فيود- علم البديع- ص296.

ثانيا: التشكيل البياني:

البيان هو الوضوح والظهور ومن معانيه الفصاحة واللسان، وكلام بيّن فصيح، والبيان: الإفصاح وفلان أبين من فلان أي أفصح منه ورجل بيّن فصيح[1]، وقال **الزّجاج** في تفسير قوله تعالى:﴿ خَلَقَ الإنْسَانَ، علَمَّهُ البَيَانَ﴾[2] أي علّمه القرآن الذي فيه بيان وجعله مميّزا عن جميع الحيوانات ببيانه وتميّزه[3]، والبيان في الاصطلاح هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة[4]، وفي التشكيل البياني نجد صور بلاغية عديدة مثل التشبيه والكناية والاستعارة وعليه نذكر أهم ما ورد في نونية ابن زيدون من بيان والذي يعدّ من أهم الجماليات التي ترسم الشعر و أوضحها وأقربها إلى دارس الأدب بشكل عام والدّارس للصورة الفنيّة بشكل خاص.

أ- **التشبيه:** يعد التشبيه وجها من وجوه البيان، وفن من فنون البلاغة ويقصد به التقريب بين الموصوف و الصورة الواصفة رغم انفصالها في الأصل، فعندما تكون أمام مصطلحين لهما معنى واحد وفيهما عبارة لم تقم على التشبيه فإنّك تجد العبارة الثانية أكثر إيضاحا من الأولى، وأشدّ مبالغة في المعنى المرّاد[5]، وقد وظّف شاعرنا ابن زيدون هذه الصورة بكل أنواعها في شعره عامة وفي قصيدته النونية خاصة ونذكر من تشبيهاته مايلي:

يا روضةً طالما أجنت لواحظنَا وردًا جلاهُ الصبا غضًّا ونسرينا

شبّه ابن زيدون هنا محبوبته ولادّة بالروضة التي يجني منها الورد الذي يتمتع الشاعر بالنظر إليه وهو تشبيه بليغ، وفي بيت آخر قوله:

ويا َ حياة تملّينا بزهرتها مُنًى ضُرُبًا ولذَّاتٍ أفانينا[6]

كذلك الشاعر هنا شبّه محبوبته بالحياة التي تمتعنا بمختلف الضروب و الأفنان والأزهار، فالمشبه هنا محبوبة الشاعر والمشبّه به هو الحياة وهو تشبيه بليغ وقوله أيضا:

يا جنّة الخلد أبْدِلْنّا سدرتها و الكَوْثَرُ العذب: زعُوما وغسلينا[1]

[1]) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص243.

[2]) سورة الرحمن- الآية3.

[3]) ابن منظور- لسان العرب- مادة بيّن ص699.

[4]) القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- ص326.

[5]) أمين أبو الليل- علوم البلاغة و المعاني و البيان والبديع- دار البركة للنشر و التوزيع- عمان- الأردن- ط1- 2008م- ص149.

[6]) ديوان ابن زيدون- ص59.

شبه الشاعر محبوبته بالجنة، فهو هنا تشبيه معقول ومحسوس بشيء مجرّد ومجهول، وهو تشبيه بليغ، فأراد الشاعر من خلال هذه التشبيهات تقوية المعنى محاولا به التّأثير في محبوبته ولادّة و المتلقي، ولا ننسى قوله:

ربيب ملك كأنّ الله أنشأهُ مسكًا وقدّر إنْشاء الورَى طينًا[2]

بحيث وظف الشاعر التشبيه في قوله هذا، وبيّن أركانه: المشبه: ربيب الملك(ولادة)، والمشبه به المسك، والأداة هي الكاف، ووجه الشبه هي رائحة المسك المعطرة.

ب- **الاستعارة:** هي مجاز يقوم على تشبيه حذِف أحد طرفيه[3]، كما يعرفها يحي بن العلوي بقوله" وإنّما لقب هذا النوع من المجاز بالاستعارة أخذ لها من الاستعارة الحقيقية، لأنّ الواحد لمّا يستعير من غيره رداءه ليلبسه، ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة و معاملة، فتقضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر،فإن لم يكن بينهما معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر أجل الانقطاع،و هذا الحكم جاز في الاستعارة المجازية، فإنك لا تستعير أحد اللفظين الآخر إلا بواسطة التعرف المعنوي". [4]

و هي نوعان: استعارة مكنية و أخرى تصريحية.

فالاستعارة المكنية وهي تشبيه حذف المشبه به، و أبقى على المشبه ذكر لازمة من لوازم المشبّه به[5]، ومن أمثلة ذلك في نونية ابن زيدون:

إنّ الزمَان الذي ما زَال يضحكنا أَنسا بقربهم قد عاد يبكينا

هنا شبه الشاعر الزمان بالإنسان يضحكنا وحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على ما يدل عليه وهي صفة الضحك، ونفس الشيء بالنسبة لعاد يبكينا،فالشاعر شخص الزمان في صفة من صفات الإنسان و هي البكاء و في بيت آخر:

ويا نسيم الصّبا بلّغ تحيّتنا من لو على القرب حيّا كان يحيينا

فالاستعارة هنا يا نسيم...بلّغ تحيّتنا جعل الشاعر من النسيم رسولا ينقل سلامه إلى محبوبته على سبيل الاستعارة المكنية كعادة شعراء الجاهلية الذين يحملون تحياتهم بنسيم

---

1) ابن زيدون- الديوان- ص59.

2) ابن زيدون- ص59.

3) أبو يعقوب السكاكي- مفتاح العلوم- ص58.

4)يحي بن حمزة العلوي- الطراز- مطبعة المقتضب- القاهرة- مصر- 1914م- ص198

5)المصدر نفسه- ص200

الصبّا، وقوله كذلك:

كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه و قد يئسنا فما اليأس يغرينا

الاستعارة هنا تكمن في قوله: نرى اليأس فاليأس لا يرى و لكن من شدة يأس الشاعر ووصوله إلى الذروة جعله يشخص اليأس و كأنه يراه، فحذف المشبه به الإنسان و أبقى على صفة من صفاته وهي نرى.

ولا ننسى الاستعارة التصريحية التي تعد تشبيه حذف من المشبه، و ذكرت لازمة من لوازمه مع الإيفاء على المشبه به[1]،و هنا ابن زيدون اعتمد على التركيب الاستعاري لإثارة السامع وإحداث المفاجأة والهزة الذهنية التي تستلها النفس، فمن دلال الاستعارة ينشط الشاعر مخيلة المتلقي.

ج-الكناية: وهي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود، فيومئ له إليه و يجعله دليلا عليه.[2]

وعليه هي وسيلة من وسائل الأداء الشعري تستطيع أن تسمو بالمعنى وترتفع بالشعور إلى مستوى التعبير الفني ويستعملها الشاعر لإثبات معنى من المعاني، فالاستعارة والكناية تشكلان أسلوبين متباينين من حيث السيرورة التي تنتج كلاهما، فالكناية وظيفتها إحالية قبل كل شيء، إنّها تسمح باستعمال كيان معين مقام كيان آخر و تيسّر الفهم للقارئ أيضا.[3]

و الكناية نوعان: كناية عن موصوف و كناية عن صفة:

ونجد ابن زيدون قد استعمل الصورة الكنائية في شعره و خاصة في نونيته و هذه أبيات منها: قوله:

حالت لفقدكم أيامنا، فغدت سودًا، و كانت بكم بيضا ليالينا[4]

[1])يحي بن حمزة العلوي- الطراز- ص201

[2])عبد القادر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص105

[3])جورج لايكوف ومارك جونسون- الاستعارات التي نحيا بها، تر:عبد المجيد جحفة- دار توبقال للنسر- الدار البيضاء- المغرب- ط2- 2006م- ص56

[4])ابن زيدون- الديوان- ص59

والكناية هنا أيامنا سودا فهي كناية عن موصوف وهو الأيام، التواصل و الاستمرار ليلا ونهارا بمحبوبته، وفي نفس البيت كناية في قوله كناية في قوله: و كانت بكم بيضا ليالينا فهي كناية عن صفة السعادة،سعادة العيش بجانب حبيبته، وفي قوله:

نبتم و نّبا، فما ابتلت جوانحنا   شوقا إليكم و لا جفت ما قينا[1]

فالكناية هنا تتمثل في ابتلت جوانحنا، وهي كناية عن موصوف وهي النفس عبر عنها الشاعر بالجوانح فالشاعر وظف الصور البيانية بشكل كبير في نونيته و بكل أنواعها في قوالب فنية جميلة إلى غير ذلك من الأبيات التي توفرت فيها الكناية.

ومن هنا نستخلص من الدراسة البلاغية السابقة أن قصيدة ابن زيدون النونية زاخرة من حيث الصياغة التصويرية إذ نلمس ذلك الحضور الطاغي والمميز للبديع والبيان من الجناس والطباق والمقابلة والاستعارة،إلى جانب الكناية، بحيث نجد أن الحضور الكثيف للبلاغة يخدم فكرة القصيدة و يدل على الحالة الشعورية المتأزمة للشاعر التي تقضي إلى الحزن والأسى،كما أنّ الألفاظ تبرز لنا المعنى و تعبر عن العاطفة الحزينة فكلها تندرج ضمن معجم الحزن و الألم.

المبحث الرابع: التشكيل الموسيقي و دوره في القصيدة:

يعد الجانب الموسيقي من أهم الجوانب التي تميز الإبداع الشعري،و تلفت انتباه القارئ فتجعله يقترب من هذه الموسيقى أو تلك فتشده دون غيرها من القصائد، فهي المغناطيس الذي يجذب المتلقي للتفاعل مع القصيدة بالبعد الأول المتصل بتقبله للعمل و الإنشاد صوبه،ذلك أنّ النفس بطبيعتها تعشق النغم و الإيقاع و حاجة هذه النفس في بعض الأحيان إلى الموسيقى تتشكل أساسا للهدوء و الاستقرار و الشعور بالارتياح، و الموسيقى من الشعر كنبضات القلب من الجسم، يتغير إيقاعها وفقا للحالة النفسية التي تتأثر بها.[2]

والموسيقى وزن وإيقاع وقافية سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى في الشعر الذي هو تنظيم لنسق من أصوات اللغة[3] ، والموسيقى إذن هي القالب الذي يحفظ التجربة والتصوير

---

[1])ابن زيدون-الديوان- ص59

[2])مصطفى محمود الحلوة- موسيقى الشعر- إربد الأردن- 1995م- ص45

[3])رينيه ويلك و أوتسن وارن- نظرية الأدب- ترجمة محي الدين صبحي- دمشق- 1972م- ص60

الشعري نوعا من حفظ الكيان الحقيقي، الذي يستحق به اسم الشعر فكراً وحساً و تصويراً.[1]

الموسيقى من أخص الشعر العربي، والوزن والقافية عنصران مهمان لإحداث الموسيقى الشعرية، ولا يمكن عند القدماء بناء القصيدة بدونها، يضاف إلى ذلك عنصر آخر هو حسن تأليف الكلام، وترابط أجزائه، حتى لا يشعر المتلقي بالتواء أو نفور لذا كان للشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه و ما يرد عليه من محسن تركيبه واعتدال أجزائه[2] و اشترط قدامة بن جعفر أن يكون النمط سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة.[3]

وبالنظر إلى طبيعة الموسيقى التي تنتج عن قصيدة ما تنقسم إلى قسمين: موسيقى خارجية وموسيقى داخلية، و لا يقل أحد القسمين أهمية عن الآخر، لأنّ كل قسم يؤدي وظيفة موسيقية معينة وفي نونية ابن زيدون تظهر أنواع الموسيقى أهمها:

أولا: الموسيقى الخارجية:

الموسيقى الخارجية تمثل الشكل الخارجي للقصيدة، يشكله علم العروض و كل ما يخص الأوزان الخليلية المكونة للبحور الشعرية و القافية و حرف الروي، وهو كذلك المستوى المحدد في علم العروض تحت أنواع البحور التي من الحركة والسكون في ترتيبها ونسبها، وما يجوز من حذفه منها وما لا يجوز، وفيما يتألف منهما من أسباب وأوتاد وتفاعيل و أوزان[4] وعليه فإن الإيقاع الخارجي نتج عن تكرار التفعيلات في البيت الشعري و هو إيقاع مبني على الأوزان الصرفية التركيبية.[5]

وعليه فإنّ الرجوع إلى نونية ابن زيدون نجد عدة مستويات للموسيقى الخارجية أهمها الوزن و القافية و حرف الروي و عليه سنقوم بدراستها و التطلع على أهم الخصائص الجمالية فيها:

---

[1])المرجع نفسه- ص62

[2])ابن طباطبة العلوي- عيار الشعر- تقديم:محمد زغلول سلام- مطبعة التقدم- د ط- د ت- ص21

[3])قدامة بن جعفر- نقد الشعر- تح- كمال مصطفى- مكتبة الخانجي- مصر- ط2- 1963م- ص74

[4])فورار محمد- بنية القصيدة العربية في الجاهلية والإسلام- أطروحة دكتوراه- جامعة منتوري قسنطينة- 2006م

[5])برباق ربيعة- الإيقاع الشعري- دراسة لسانية جمالية- جامعة الشيخ العربي التبسي- الجزائر- تبسة- مجلة كلية الآداب و اللغات العدد 8- جانفي 2011م

أ- إيقاع الوزن:

عرف القدماء الوزن بأنه"أعظم أركان حد الشاعر و أولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية و جالب لها ضرورة "[1]، ويمثل الوزن عنصرا مهما من عناصر الشعر وقاعدة من قواعده النغمية و الفنية عموما لا يمكن الاستغناء عنه،فهو كما يقول النّويهي:"ليس مجرد شكل خارجي يكسب الشعر زينة و رونقا، بل إنّه يختص بالشعر الذي يختص بالعاطفة الإنسانية إذا كانت في حالة زائدة الشّدّة، وهو يتناول أقوى العواطف وأكبرها حدّة وأكثرها اهتزازا"[2] ويقوم الوزن في الشعر على تعاقب الحركات و السكنات التي تشكل الأسباب والأوتاد والفواصل وتكرارها على نحو منتظم، بحيث يتساوى عدد الحروف هذه المقاطع و أزمنة النّطق بها في كل فاصلة من فواصل الإيقاع، وقد لا تتساوى الأزمنة الإيقاعية بدخول بعض الزحافات و العلل على بنية الوزن و التفعيلة هي أصغر وحدة يتكون منها الوزن".[3]

وإذا حاولنا أن تتبين موسيقى القصائد التي غلبت عليها ظاهرة الحنين في ديوان ابن زيدون وفق عملية إحصائية بسيطة، وجدناه قد أجرى معظم قصائده و مقطعاته في هذا الغرض على بحور شعرية، استخدمها بصور مختلفة، فالبحر قد يجيء تاما أو مجزوءًا أو مشطورًا أو منهوكاً، و قد أحصينا البحور التي استخدمها فوجدناها كالآتي:[4]

البحر	عدد القصائد	ملاحظات
الطويل	34	
الكامل	28	منها 12 على مجزوء الكامل
البسيط	26	منها قصيدة على مخلع
الخفيف		

[1])ابن رشيق القيرواني- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده تح:محمد محي الدين الحميدي- صفر الخير، ط3- 1963م- ج1- ص134

[2])محمد النويهي- قضية الشعر الجديد- معهد الدراسات العربية العالمية- القاهرة- 1934م- ص28

[3])المرجع نفسه-ص30

[4]) أحمد محمد عطا- نونية ابن زيدون بين التـأثّر والتأثّير- مكتبة الآداب- مصر-1426ه/2005م-د.ط- ص80.

الرمل الوافر المتقارب السريع المجتث المنسرح الرجز	18 18 15 12 10 08 06 01	البسيط منها 4 قصائد على المجزوء منها 9 قصائد على المجزوء منها قصيدة واحدة على المجزوء

جدول يبين بحور الشعر التي استخدمها ابن زيدون وعدد القصائد التي كتبها على كل بحر.

يتّضح من الجدول أنّ ابن زيدون قد كتب على أحد عشر بحرًا، ولم يكتب على خمسة بحور وهي: المديد ، والمضارع،والمقتضب، والهزج والمتدارك.

ولا يمكننا تفسير سبب كتابة ابن زيدون على بحور وعدم كتابته على أخرى إلاّ بميل الشاعر إلى استخدام إيقاعات معينة، وعدم ميله إلى أخرى.

والقافية هي المقاطع الصّوتية التي تكون في أواخر الأبيات ويلتزم تكرار نوعها في كلّ بيت من أبيات القصيدة.[1]

وأوّل قصيدة في ديوان ابن زيدون هي "أضحى التّنائي" البالغة واحدًا وخمسين بيتًا بناها على بحر البسيط وهو من البحور المركبّة ذي التّفعيلات المتتابعة تتابعًا نغميًا خاصّاً، وهو ذو تقنية عالية في التّعبير عن الحالات الشّعورية والانسجام مع ذاتية الشاعر لحظة

[1]) أبو الحسن علي بن عثمان- كتاب القوافي- تح: عبد المحسن فراج القحطاني- الشركة العربية للنشر والتوزيع- القاهرة- 1998م- ص88.

خلق العمل الفنّي، وقد سماه الخليل بالبسيط لأنّه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن ويقول أحد الباحثين: " إنّ البسيط أخو الطويل في الجلاّلة والرّوعة، وإنّ فيه من استفعالات الرجز ذات دندنة تمنع نغمه أن يكون خالص الاختفاء وراء كلام الشاعر وكامل النزول منه بمنزلة الجوّ الموسيقي الذي يكون من الشّعر كالإطار من الصورة ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النّقيضين العنف واللّين"[1].

فبحر البسيط يخلق موسيقى غزيرة ويحدث دوي يناسب خطاب الشاعر الذي يوصل من خلاله الإحساس الذي يرمي إليه، حيث يتكوّن هذا البحر من تفعيلتين متناوبتين، تتكرر كل واحدة منهما أربع مرّات موزّعة بالتّساوي على الصدر والعجز.[2]

جاء بحر البسيط بتفعيلات ممتزجة بين التّفعيلات السّباعية و الخماسية كالتالي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن[3]

وقد افتتح ابن زيدون قصيدته بتصريح تساوي في العروض والضروب والقافية والروي، حيث جاءت العروض مقطوعة ومثلها الضّرب.

والقطع في العروض هو غزالة آخر الوتد المجموع (0///)، وإسكان ما قبله حيث تتحوّل فاعلن(/0//0) إلى فعلن (/0/0) والكتابة العروضية للبيت الأول من القصيدة كالتّالي:

أَضْحَى التَّنَائيْ بَديْلاً منْ تَدانِيْنَا	وَنَابَ عَنْ طيْب لُقْيَانَا تَجَافينَا
أضحتتنائي بديلن من تدانينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا
0/0/0// 0/ 0/0//0/0//0/0/	0/0/0//0/0/0//0/0//0//
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن	متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

[1]) ابن رشيق القيرواني- العمدة- ص99.
[2]) الربعي بن سلامة- تطور البناء الفني في القصيدة العربية- دار الهدى عين مليلة- الجزائر- ط1 – 2006م- ص38.
[3]) عمر توفيق سفر آغا- علم العروض- مكتبة الرّشاد- ط1- 1969م- ص45.

هنا تساوي الصّدر والعجز مساواة تامة في العروض و الضرب والقافية والرّوي، كما تكرّر زحاف القطع هذا في أضرب القصيدة كلّها، وفي البيت نفسه دخل عليه زحاف الخبن وهو حذف الثاني السّاكن، فتحوّلت مستفعلن إلى متفعلن وكانت كتابة الرّموز العروضية كالتالي: مستفعلن (/0/0//0) ومتفعلن (//0//0).

وقد تكرر هذا الزّحاف الزّحاف الذي لّحق تفعيلة مستفعلن إثنين وثلاثين مرّة في مختلف أبيات القصيدة وفي قوله:

فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعَقَةً   مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبًّا تَقَاضِينَا

فَهَلْ أَرَدْدَهْرَ يَقْضِيْنَاْ مُسَاْعَقَتَنْ   مِنْهُوْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبْبَاْ تَقَاْضِيْنَاْ[1]

//0//0/0/0//0/0//0///0   /0/0//0/0/0//0/0/0//0/0/0

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

ففي هذا البيت أدخل ابن زيدون على عروض البيت الزحاف الخبن، فتحوّلت فاعلن(/0//0)

إلى فعلن(///0)، وكان هذا في عروض القصيدة كلّها ما عدا البيت الأوّل فهو جاء مصرّع

كما سبق الذّكر وجاء هذا الزحاف في خمسين مرّة، والجدول التّالي يوضح صور التّفعيلات في القصيدة:[2]

التفعيلة	العدد	ملاحظات
مستفعلن	172	صحيحة في حشو البيت
فاعلن	67	صحيحة في حشو البيت

1) ديوان ابن زيدون- ص09.

2) أحمد محمد عطا- نونية ابن زيدون بين التّأثر والتأثير- ص92.

متفعلن	32	مخبونة في حشو البيت
فَعِلُنْ	50	مخبونة في عروض البيت
	32	مخبونة في حشو البيت
فَعْلُنْ	51	مخبونة في ضرب البيت
	01	مخبونة في حشو البيت

جدول يوضح صور التفعيلات في القصيدة بحيث نجد أنّ الشاعر قد أكثر من زحاف الخبن في تفعيلتي: فَعِلُنْ ومُتَفْعِلُنْ فوردت الأولى في عروض القصيدة كلّها وبعضها في حشو البيت وكذلك بالنسبة للتفعيلة الثانية وردت في الحشو.

بينما زحاف القطع فورد في ضرب القصيدة فقط وتفعيلته فَعْلُنْ والتّفعيلات الأخرى للقصيدة بقيت على صحتّها: مستفعلن، فاعلن، وهذا الإكثار والتّنوع في الزّحافات يوحي لنا أنّ الشّاعر يتمتّع ببعد النظر، ويفتح المجال أمام موهبته للتّوسّع كون أنّ الزحافات تمنح الكلمات مساحات نغميّة تنشر حدّة الإيقاع سعيا إلى تحقيق الجمال الموسيقي في القصيدة.[1]

وواضح أنّ هذه التّشكيلة العروضية ذات طبيعة متناقضة بين الهدوء المتمثل في تفعيلة **مستفعلن** و السرعة النفسية التي تتجسد في تفعيلة **فاعلن** أو **فعلن** المخبونة، وهذا التحوّل من البطء إلى السّرعة الذي يمثل واقع المفاجأة وهو الذي أوجد الطبيعة المتناقضة في تشكيلات هذا البحر، ويبيّن القيم الدّلالية المتحققة في إطار هذه التّشكيلة العروضية والمنبعثة من أمواج بحر البسيط المعروفة بتدّفقها وامتدادها وقدرها على إظهار الأحاسيس الذّاتية وتصوّر المشاعر الوجدانيّة.[2]

---

1) المرجع نفسه- ص94.

2) خالد لفته باقر- الفن في شعر ابن خاتمة الأندلسي- دراسة في تركيبه الصوّتي- مجلة آداب ذي قار- العدد7.

ب- إيقاع القافية:

القافية هي الرّكن الثاني في الإيقاع الخارجي، ولا يتم الحديث عن الوزن إلاّ وتبعته القافية، فالقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعرا حتّى يكون له وزن وقافية هذا على من رأى أنّ الشعر ما جاوز بيتا واتفقت أوزانه وقوافيه واختلف الناس في القافية ما هي؟، فقال الخليل: القافية من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن على أوّل ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل السّاكن والقافية على هذا المذهب وهو الصّحيح تكون مرّة بعض كلمة ومرّة كلمة ومرّة كلمتين و الأحرى أنّها آخر كلمة في البيت[1]، وللقافية أهميّة كبيرة في القصيدة فهي تتضافر مع الوزن لإعطاء الشعر معناه الحقيقي فهما يكمّلان بعضهما البعض، ولا غنى لأحدهما عن الآخر وبها تحلو موسيقيّة الأبيات الشّعريّة ويبرز إيقاعها في ضبط نهايات الأبيات[2].

وسبب تسميّة القافية بهذا الاسم لأنّها تتبع نظم البيت مأخوذة من قفوت أثره أي تتبعه[3]، أمّا في الاصطلاح فهي عدّة أصوات تتكرّر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكرارها هذا يكون جزءاً هامًا من الموسيقى الشّعرية فهي بمثابة الفواصل الموسيقيّة يتوقع السّامع تردّدها في أذنه[4]، ويؤكد الدكتور **محمد صابر عبيد** على أنّ أهم وظيفة للقافية هي أنّها تربط أجزاء القصيدة كما يصفها بالاختتاميّة، ويمكننا القول أنّه عند القافية يصل البيت إلى غايته ويتم إيقاعه، فالقافية في شعرنّا القديم تعدّ مظهرا دالاً على نفسيّة العربي الذي كان يميل إلى الغناء[5]، فهي بمنزلة الفواصل الموسيقيّة التي يتوقع السامع ترددها فيستمع بمثل هذا التردّد الذي يطرق الآذان في تناول زمني منتظم الذي يتشكّل عن طريق تكرار الذي يتيح للقارىء فسحة من صمت تتجاوب فيه القافية في ذاكرته فتكون أعلق بالحافظة[6]، فأصداء القافية تتردّد في الذهن، فإذا دلت على أمر كريه أو رثت ضيق في النّفس، وإن دلت على أمر طيب أو رثتها أثرا طيب، وهذا يجعل للقافية أثرا كبيرا في تحقيق جماليات النّص الشعري، ويقتضي

[1]) خلوصي صفاء- فن التقطيع الشعري والقافية- دار الكتب- بيروت- ط3- 1966م- ص84.

[2]) عبد الرحمن الوجي- الإيقاع في الشعر العربي- دار الحصاد للنشر والتوزيع- دمشق- ط1- 1989م- ص71.

[3]) خلوصي صفاء- فن التقطيع الشعري والقافية- ص214.

[4]) إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ط3- 1965م- ص246.

[5]) عباد الدايم صابر- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور- مكتبة الخانجي- مصر- ط3- 1993م- ص164.

[6]) إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- ص263.

من الشاعر استثمارها وتوظيفها في خدمة المعنى، ولا فلا لزوم لها على الإطلاق لأنّها ستغدو عبثًا على القصيدة تخفض من سموّها الجمالي.

وترتبط القافية بحرف الرّوي، وتتنّوع باعتباره ووجوده وباعتبار ما قبله أو ما بعده، أمّا تنّوعها باعتبار الرّوي فهي كونها إما مقيدة أو مطلقة، أمّا تنوّعها باعتبار ما قبل الرّوي فهي كونها إمّا مردفة أو مؤسسة أو مجرّدة، أمّا تنوّعها باعتبار ما بعد الروي ولا يلحقها هذا الاعتبار إلاّ في إطلاقها.[1]

وإذا أمعنا النظر في نونية ابن زيدون، لاحظنا أنّه التزم بقافية مطلقة مردفة ونقصد بالقافية المطلقة تلك التّي تنتهي بحرف متحرك يمكن إشباعه بألف أو واو أو ياء ويكون الردف ألفًا، أو واواً أو ياء، يليه حرف الروي ثمّ حرف الوصل الساكن نتيجة لإشباع حركة الرّوي[2]، ومثال ذلك قوله:

أضحى التّنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طول لقيانا تجافينا

القافية هنا مطلقة مردفة بالياء (تجافينا //0/0/0)، فينا(/0/0)، وحرف الوصل الساكن يتمثل في الألف بعد حرف الروي **النون**، وهذا ما سنلاحظه في بقية الأبيات الأخرى من النونية، جاءت قافية القصيدة بلحن خفيف ورقيق من خلال صوت مدّ الألف الذي ينطق بسهولة لاسيما أنّه مناسب للحالة الشعوريّة للشاعر، وهو بلا شك مناسب لمقام القصيدة فيعطي مساحة صوتية ليخرج الشاعر أحاسيسه المتمثلة في الحزن والأسى والشوق.

وقد قسم النّقاد القافية إلى قافية مطلقة والتي يكون حرف رويّها حرفًا متحرّك وقافية مقيّدة وحرف رويّها يكون حرفًا ساكن، ونرى أنّ القافية تتكون من بعض كلمة وهي قافية متواترة لأنّها فصلت ساكنيها حركة واحدة وسمي هذا النّوع متواترا لأنّ الحركة يليها ساكن، وليس هناك من تتابع للحركات، وتمّثلت حروفها في الرّوي و الوصل، وحركة القافية المعتمدة في

---

[1]) المرجع نفسه- ص281.

[2]) فوزي خضر- الإبداع الفني في شعر ابن زيدون- ص242.

هذه القصيدة هي المجرى وهو حركة حرف الرّوي المطلق وكانت حركته الفتحة وسمي بذلك لأنّ الصوت يبتدىء بالجريان في حروف الوصل منه.[1]

وقد كتب الشاعر ابن زيدون على القافية المطلقة وهذا يدّل على ثقافته الواسعة في الأدب وحرف الرّوي الذي اعتمده في نونيته وهو حرف النّون لما له من ترديد متكرّر في القصيدة مع تكرّر حرف المدّ التي ملأت فضاء النئنية لذلك كانت هذه القافية مناسبة لمقام الشّاكي الحزين لأنّ له أشرح في ترجيح الأصوات.[2]

ونذكر في هذا الجدول البسيط القافية التي اعتمدها ابن زيدون في قصيدته النونية مع أهم سماتها:

القصيدة	القافية	نوعها	سماتها
النونية	فينا	متواترة	مطلقةمردفةبالياء+ الوصل بالألف

وعليه تعدّ الأوزان و القوافي من أهم ركائز الشعر الإيقاعية، فالقافية تجعل الكلام يعلق في الصدور ويبقى في الأذهان من خلال إيقاعيتها يقول ابن رشيق في تبيان ذلك: فاللفظ إذا كان منثورا تبدّد في الأسماع، وتدّحرج عن انطباع ...فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألّفت أشتاته وازدوجت فرائده[3]، وفي موضع آخر يعدّ الوزن أهم أركان الشعر بما يوفره من جرس وباحتوائه على القافية، يقول الوزن أعظم أركان حدّ الشعر وأولاها به خصوصيته، وهو مشتمل على القافية وجالب لها[4]، وذكر حازم القرطاجني أهمية الأوزان و القوافي في الشعر فرأى أنّ الأوزان مما يتّقوم به الشعر أو يعدّ من جملة جوهره، فأمّا القوافي فقد وصفها بأنّها حوافر الشعر عليها جريانه.[5]

---

[1]) أبو يعقوب يوسف السكاكي- مفتاح العلوم- نص أحمد سعد علي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ط1- 1356ه/1937م- ص271.

[2]) إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- ص283.

[3]) ابن رشيق القيرواني- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده- ج1- ط3- ص20.

[4]) المصدر نفسه- ص134.

[5]) حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- ص263.

ج- حرف الرّوي:

تتكوّن القافية من حرف أساسي ترتكز عليه، يعرف باسم الرّوي، فالرّوي: " هو آخر حرف صحيح في البيت، وعليه تبنى القصيدة وإليه تنتسب فيقال ميميّة أو نونيّة أو عينيّة"[1].

وحرف الرّوي في نونيّة ابن زيدون هو حرف النّون المتصل بحرف المدّ بالرّغم من أنّ النّون فيها شيء من الطّول لدى النّطق بها فقد أضاف إليها حرف المدّ لتعبّر عن حسرات الشاعر، التي تنتابه لبعده عن ولادّة وتذكر أيامهما معا وحرف الرّوي، نجده يتكرّر في أبيات القصيدة كلها في قوله:

أضحى التّنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا[2]

فالنّون وحدة صوتية لها وظيفة مستقلة في البنّاء الصوتي للكلمة فهي من أكثر الأصوات العربية الصامتة قابليّة للتّعبير في الأداء النطقي الدّاخلي فهو صوت أسناني لثوي أنفي مهجور[3]،بالإضافة إلى أنّ النون يصدر أثناء البكاء من شدّة الحزن والفراق.

وعليه نفهم بأنّ للموسيقى الخارجية أركان تسيرها فلا ننسى الوزن الذي يعدّ من أعظم أركان حدّ الشّعر و القافية التي هي الرّكن الثاني في الإيقاع الخارجي، فهي شريكة الوزن في الإختصاص بالشعر ونجد فيها تسميّة للبحور مع الكتابة العروضيّة وغيرها وهنا في نونيّة ابن زيدون مفتاح بحرها هو:

إنّ البسيط لديه يبسط الأمل   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

بالإضافة إلى ذكر أهم الزحافات الطارئة على الأبيات وخاصة زحاف الخبن حتى نصل إلى حرف الرّوي وهو حرف النّون وهنا نقول قصيدة نونية ولذلك سميّت عليه: أي نونيّة ابن زيدون.

---

[1]) عبد العزيز عتيق- علم العروض والقافية- دار النهضة العربيّة- بيروت- 1978م- ص136.

[2]) ابن زيدون- الدّيوان- ص09.

[3]) إبراهيم أنيس- موسيقى الشعر- ص290.

ثانيا: الموسيقى الدّاخلية:

إنّ إيقاع الشعر لا يقتصر على الوزن و القافية فهناك موسيقى داخلية مبعثها الجانب اللغوي في أصواته وكلماته وجمله و ما بينهما من علاقات تبعث في الكلام جرسا يحس به المتلقي وقعا في سمعه و أثرا في سمعه.[1]

وعليه فالموسيقى الداخلية هي ذلك النظام الموسيقي الخاص الذي يبتكره الشاعر دون الارتكاز على قاعدة مشتركة وملزومة تحكمه، إنّما يبتدعه الشاعر ويتخيّره ليتناسب وتجربته الخاصّة، فهو كل موسيقى تتأتى من غير الوزن العروفي و القافية.[2]

و على هذا التعريف يمكننا تقديم تعريف للإيقاع الداخلي فنقول عنه بأنّه النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، بين وقع الكلام و الحالة النفسية للشّاعر.[3]

وينساب الإيقاع الداخلي في اللفظة والتركيب فيعطي إشراقة ووقدة تومئ إلى الشاعر فتحليها و تحمس التعبير عن أدق الخلجات وأخفاها[4]، وفي الموسيقى الداخلية نجد:

أولا: التكرار وما يتضمنه في تكرار الأصوات والكلمات:

تحمل هذه اللقطة معنى إعادة الشّيء، وهي مصدر للفعل كرّر، قال ابن منظور:كرّر الشيء وكرّره أي أعاده مرة بعد أخرى[5]، وفي التعريف الإصطلاحي يعرف بأنّه الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع متماثلة من العمل الفني والتكرار هو أساس الإيقاع بجميع صوره.[6]

وعليه يعد التكرار من الظواهر الجمالية التي يعتمدها الأدباء والشعراء على حد سواء، فهو ظاهرة لغوية من حيث اعتماده على الكلمات والجمل البسيطة والمركبة، فهو في معناه العادي إعادة المبدع لعبارة أو لجملة، أو لحرف لحاجة في نفسه، و عن غايته الفنية يقول عمر محمد

---

[1]) شوقي ضيف- ومذاهبه في الشعر العربي- ص78.

[2]) إبراهيم أنس- موسيقى الشعر- ص72.

[3]) رمضان الصّباغ في نقد الشعر العربي المعاصر- دراسة جمالية- منشأ المعارف الإسكندرية- مصر- د ط- 1985م- ص171.

[4]) عبد الرحمن الوجي- الإيقاع في الشعر العربي- ص72.

[5]) ابن منظور- لسان العرب- ج13- ص47.

[6]) مجدي وهبة وكامل المهندس- معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب- ص117.

طالب عن التكرار بأنّه"محقق على مستوى البيت وظيفتين في القصيدة الأولى دلالية فالشاعر عندما يكرر وحدة معجمية بنفس اللفظ فإنّه يقصد الإلحاح والتّأكيد على عنصر دلالي من عناصر الإرسالية و نقله إلى المتلّقي المباشر".[1]

ومنه نقول إنّ التكرار له أهمية كبيرة خاصة عندما يوظف بطريقة دقيقة، ولا يكون بطريقة الحشو الزائد على الحاجة، كما أنّه يقترن دائما بالهواجس و الأحاسيس الأساسية التي تدمن الحضور في البيئة النفسية في الشاعر.[2]

وعليه يندرج التكرار من ضمن التوافقات الصوتية ة والدلالية وهو إلى جانب ذلك من الظواهر الجمالية في القصيدة الشعرية، و الذي يتأتى بدون أي سنن أو إكراه وإنّما تلقائيا، موافقا لتجربة الشاعر الخاصة، فهو مقترن بالأحاسيس و الحالة النفسية للشاعر.

أ-تكرار الأصوات:

فرق علماء اللغة بين طائفتين من الأصوات: الصّوائت و الصّوامت، و قد اعتمدت في ذلك على خصائص معينة مثل: مخارج الأصوات إلى جانبها اهتزاز الأوتار الصّوتية، فجمعوا الصّوامت في حروف الهجاء الصحيحة ففرقوا بينهما بصفات الجهر والهمس والاحتكاك والانفجار.[3]

فالصوت يعتبر آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التّقطيع وبه يوجد التأليف، لن تكون الحركات إلا بظهور الصّوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتّقطيع والتّأليف[4]، وفي تكرار الأصوات نجد الأصوات المهجورة والأصوات المهموسة.

[1]) عبد الرحمن الوجي- الإيقاع في الشعر العربي- ص82.

[2])المرجع نفسه- ص83.

[3]) حسام البهنساوي- علم الأصوات- المكتبة الثقافية الدينية- القاهرة- د ط- 2004م- ص05.

[4]) عصام نورالدّين- علم الأصوات البغوية (الفونتيكا)- دار الفكر اللبناني- ط1- 1992م- ص251.

1-الأصوات المجهورة:

وهي الأصوات التي تهتز مع نطقها الأوتار الصوتية، نتيجة اقترابها من بعضها البعض، وهذه الأصوات في العربية الفصحى هي: الهمزة، العين، الغين، الكاف، الجيم، الراء، الزاي، النون، اللاّم، الباء، الذال، الواو، الياء، الضاد، الظاء والميم.[1]

والأصوات المجهورة تتميّز بالوضوح السمعي ولا تعترض بصائت أثناء عملية التّصويت، ويترتب على ذلك سهولة النطق بها يقول عصام نورالدّين: فالأصوات المجهورة هي الأصوات الخالية من الضّجيج، وهي تمر دون أن ينحبس النّفس ممّا يؤدّي إلى سهولة نطقها، وسهولة في انتقالها إلى السّمع...بل هي أشدّ وضوحا في السمع من الأصوات المهموسة.[2]

وقد تكرّرت حروف المد في شعر ابن زيدون، و هذا راجع إلى القيم الإيقاعية الشكلية والدلالية، فما له علاقة بالجانب الشكلي يرجع إلى الحد من السرعة والرتابة، وذلك يجعل حروف المد مرتكزات إيقاعية يطول فيها الصّوت، ويتباطأ البحر بالتخفيف من حركاته المتتالية، يقول ابن زيدون:

أضحَى التّنائي بديلاً من تدانينا   و ناب عن طيب لقيانا تجافينا

ألا و قد حان صبح البين، صبّحنا   حين، فقام بنا للحين ناعينا[3]

فقد تكرّر حرف المد عشرة مرات في البيت الأوّل، وتسع مرات في البيت الثّاني ممّا أكسبها قيمتين إيقاعيتين هما التّخفيف من سرعة ورتابة البحر البسيط، وإضفاء توافق صوتي على شطري البيت، ويتمثل تأثير هذه المدود من الدّلالات كما أقرّت بعض الدراسات الحديثة بأنّها تبرز الانفعالات فهي وعاء للحزن والفرح، والخوف وغيرها، وعن حروف الإشباع في المد يقول تامر سلوم:"ولا أن يقال بأن هذا المكون الصّوتي المتولّد يسمى من الناحية الوظيفية

---

[1]) المرجع نفسه- ص

[2]) المرجع السابق- ص253.

[3]) ديوان ابن زيدون- ص59.

حرف وصل باعتباره الحرف الأحق بحرف الرّوي، فأصوات المد تمنح المتلقي إدراكات أخرى أعمق وأكمل.[1]

وعليه فالأصوات المجهورة نجدها واضحة في القصيدة وإذا قمنا بدراستها دراسة إحصائية وجدنا عددها مختلف من حرف إلى حرف.

2- الأصوات المهموسة:

وهي الأصوات التي تكون فيها الحبال الصوتية غير متحركة،وهي أيضا صوت أضعف الضغط عليه موضع الضغط أثناء نطقه حتى جرى الهواء المهموس معه، و عند نطقه لا تسمع له جهراً.[2]

والأصوات هي: التّاء، الثّاء، الحاء، الخاء، السين، الصّاد، الطّاء، الفاء، القاف، الكاف والهاء.

فالأصوات المهموسة تحدث إيقاعا مصدره ما ائتلف و اختلف من صفاتها العامة مثل الجهر، الهمس والشدة والرّخاوة والذّلاقة أو صفاتها الخاصة:

كالتصغير والأطباق لطبيعة مخرجها كالأصوات الحلقية.[3]

وأوّل ما نلاحظه في قصائد ابن زيدون تكرار حروف بكثرة في القصيدة، سواء منها ما يخصّ ذلق اللسان(ل-ن-ر) أو ما يخص ذلق الشفة (ب-ف-م) وهذا راجع لخفتها في النطق و سهولتها على اللسان، فلا يشعر النّاطق بكلفة في إصدارها، ومن نماذج تكرارها قوله:

مِنْ مَبْلَغِ المُبْلِسِينَ بانْتِزَاحِهِم   حُزْناً، مَعَ الدّهرِ لاَ يُبْلَى وَيَبْلِينَا

أَنَّ الزَمَّانَ الَذِي مَا زال يضحكنا   أنسا بقربهم، قد عاد يبكينا

غيظ الغدا من تساقينا الهوى فدعوا   بأن تغص، فقال الدهر آمينا[1]

[1]) سلوم تامر- نظرية اللغة والجمال في النقد العربي- دار الحوار- سوريا- ط1- 1989م- ص46.

[2]) حسان تمام- اللغة العربية معناها ومبناها- علم الكتاب- القاهرة- ط3- 1993م- ص63.

[3]) المرجع نفسه- ص65

فنجده يكثر من حروف الذلاقة فتقارب عشرين حرفا في كل بيت،يقول **كمال بشر:"**ومن هذه الشواهد كذلك أنّ اللام والميم والنون والراء انفردت مع التاء و الباء بتشكيل نمط خاص من الأصوات عُرف بأصوات الذلاقة أي أصوات تمتاز بسهولة النطق وخفته، كما تمتاز بكثرة التوظيف في اللّغة".[2]

وفي هذه الأبيات كان الشاعر يتحسّر فيها على أيامه مع ولادة ويطلب منها البقاء على عهده، فهذه الحروف تتميز بالوضوح، و تناسب التعبير عن الانفعال لقربها من الأصوات المهجورة بالخصوص حرف (ل-م-ن-ر) التي تسمى أشباه الحروف المهموسة.[3]

ب-تكرار الكلمات:

تكرار الكلمة في المعجم اللغوي لا يمنح النغم فقط، بل يمنح امتداد للقصيدة في شكل ملحمي انفعالي متصاعد، نتيجة تكرار العنصر الواحد مثل اللّقطة[4]، و في تكرار الكلمات نجد تكرار الاسم والفعل والحرف.

1-تكرار الاسم: إنّ الأمثلة على تكرار الاسم عند ابن زيدون كثيرة ومتعدّدة، فالشاعر في قصيدته النونية كرّر كلمة صبح و حين في قوله:

ألا وقد صبح البين صبّحنا حين، فقام بنا للحين داعينا

بحيث وظف هذا الاسم توظيفا دلاليا عاكسا لمعنى الموت والهلاك، و الغاية من هذا التكرار هو الحالة النفسية التي يعبر عنها الشاعر، ذلك ما أعطاه ركيزة إيقاعية قويّة.

ونلاحظ أنّ الشاعر كرر أيضا العديد من المرات لفظة اليأس في البيت الحادي العشر في قوله:

كنّا نرى اليأس تسلينا عوارضه و قد يئسنا، فما لليأس يغرينا

---

1) ديوان ابن زيدون- ص59.

2) كمال بشر- علم الأصوات- دار غريب- القاهرة- د ط- د ت- ص359.

3) المرجع نفسه- ص360.

4)فوزي خضر- الإبداع الفني في شعر ابن زيدون- ص240.

وكلمة اليأس تعبر عن التّأزم والضّعف المتخبط فيهما فيما تفيض من هذه المعاني الجامعة لحالة العجز و الفشل.

و أورد الشاعر في البيت الحادي والعشرين لقطة تذكر في قوله:

واسأل هنالك:هل عنّ تذكّرنا إلْفًا، تَذَكُّرُه أمسى يعنينا ؟[1]

وهذا نظرا لاسترجاع لحالة أو حدث في زمن ماض وفي البيت السابع والثلاثين تمثل تكراره في لفظة نلقاكم و تلقونا في قوله :

إن كان قد عزّ في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا[2]

وهنا دلالة على أنه يخاف من القدر ومن أفكار الماضي إلى غير ذلك من بعض الأسماء المتكررة في بعض الأبيات.

2-تكرار الفعل:

نجد ابن زيدون يكرر بعض الأفعال في نونيته الغزلية مثلا في قوله:

بنتم وبنّا، فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم، ولا جفّت ما قينا[3]

ويشير التكرار في هذا البيت إلى أنّ البيت وقع بين الطرفين، الشاعر و المخاطب ولادة حبيبته وقوله أيضا:

دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحر من دان إنصافا كما دينا[4]

وهنا تكرار للفعل دام الذي يدل على شغفه وحبّه لولادة بنت المستنكفي بنظرة تفاؤلية.

---

[1]) ابن زيدون- الديوان- ص59.
[2]) المصدر نفسه- ن ص.
[3]) المصدر نفسه- ن ص.
[4])المصدر نفسه- ن ص.

3-تكرار الحرف:

إنّ أول ما يلفت الانتباه في ظاهرة التكرار في نونية ابن زيدون هو تكرار صوت النون الذي يتمثل بالحرف نفسه والتنوين، حيث كرره الشاعر في البيتين الأوليين ست عشر مرة،لا سيما أنّ هذا الحرف يتماشى والحالة النفسية الشعورية اليائسة التي يمر بها الشاعر ابن زيدون، فمعظم الألفاظ أتت في تركيبها بحرف النّون تنتمي إلى معجم الحزن والموت والأسى كقوله:البين، النأي، تجافينا، تفرقنا...إلخ، وعليه الشاعر عمد على تكرار حرف النون دلالة على الحزن والأنين والنعي والنّأي ذلك ما شكل مساحة صوتية بارزة.[1]

وفي الأبيات نفسها من القصيدة نجد شيوع الهمزة والياء وتكرارها بنسبة كبيرة وهو صوت مهموس انفجاري يتناسب مع عمق الحدث المملوء بالتحسّر واللوعة والحزن، كما نلاحظ أنّ اجتماع الحروف الثلاثة: النون، الألف والياء يشكل لفظة النأي التي تدل على الحزن والأسى.[2]

كما أن الشاعر استطاع أن يوصلنا إلى صميم مشاعره المملوءة بالحزن ولوعة الأسى في البيت الخامس من دلال تكرار حرف العين وانفتاحه لا سيما حينما يجتمع هذا الحرف مع الغين والضاد وهمس التّاء والسّين.

وفي البيت السابع العشر يكرر الشاعر ابن زيدون حرف الحاء والنون والسين في قوله: ليسق- السرور وقوله: أرواحنا- رياحينا، وهذا المزج بين هذه الحروف، حروف الصغير وحروف الهمس أضفى جمالا و تصويرًا رائعا لعاطفة الشاعر.[3]

وعليه من خلال دراستنا لأنواع التكرار في نونية ابن زيدون وجدنا أنّ التكرار الذي طغى على غيره هو تكرار الأصوات المجهورة، وكذلك تكرار الأسماء والحروف أكثر من تكرار الأفعال والضمائر و هنا يوحي بأنّ الشاعر يريد أن يصرخ بصوت عال على حبّه وشوقه لولادة بنت المستنكفي التي طال فراقه عنها و عن وطنه قرطبة، وعليه فكل مصيبة أتت من عند الله سبحانه تعالى فلا بد من الصّبر عليها مع وجود القوة و العزيمة.

---

[1]) ص ع جوار- قراءات في الشعر الأندلسي- ص50.

[2]) المصدر نفسه- ص52.

[3]) المرجع السابق- ن ص.

ومن هذا كله نفهم أنّ الموسيقى الداخلية جلّية في هذه النونية الأندلسية بحيث أكثر الشاعر من حروف الهمس والمد، أعطى ذلك لحنا متوازنا مناسبا لحالة الشاعر ولمقام القصيدة كما أن عاطفة الشاعر عملت على تلوين النونية برموز صوتية مختلفة بتكرار الكلمات التي كانت معظمها ذات دلالة فتارة تعكس حالة الشاعر الحزينة و تارة تصور لنا رغبة الشاعر في خروجه من تلك البوتقة المخزنة وأخرى بينت التحول الذي شهده في تلك العلاقة التي تربطه بحبيبته.

ثانيا: التصريع :

ورد في لسان العرب أنّ التصريع في الشعر هو تقضية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب و هما مصرعان، وإنّما وقع التصريع في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ.[1]

وقد عدّه النّقاد نقدا من إلحاق العروض بالضر سواء أكان بزيادة أم بنقصان[2]، بالإضافة إلى ذلك هو مظهر من مظاهر الإيقاع على مستوى الأصوات وينبع إيقاعه من أمه فهو حرف وللحروف إيقاعها والتّصريع أيضا خرق للرتوب والثوابت والقوانين المنع ولئن كانت القافية تشكل تماثلا إيقاعيا على مستوى عمودي فإنّ التصريع يشكل المستوى الأفقي ضمن كل بيت ولهذا التشابه الأفقي أثر إيقاعي كبير بخلقه تناغما داخليا يساهم في تعضيد الإيقاع لكل نص شعري.[3]

وتكمن أهمية التصريع في جعل الألفاظ مترابطة ومتواصلة مع بعضها البعض في البيت الشعري[4]، ولكن التزام الشاعر فيه باستمرار يخل ّفي بناء القصيدة والمعنى ويدل بذلك على التكلّف كما أشار ابن رشيق القيرواني بقوله:"دليل على قوة الطّبع وكثرة المادة، أي أنّه إذا كثر في القصيدة دل على التكلّف"[5]، وهو في الغالب يأتي في مطلع القصيدة أو داخلها، و له فوائد أخرى فهو يهذّب الشعر و يثير السامع إلى أن ينهي الشاعر مقطعه أو قصيدته فيجذبه إلى

---

[1]) ابن منظور- لسان العرب- مادة صرع- ص769.

[2]) ابن رشيق القيرواني- العمدة- ج1- ص173.

[3]) احمد جاسم الحسين- الشعرية- قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي- الأوائل للنشر و التوزيع- دمشق- ط1- 2000م- ص128.

[4]) ابن رشيق القيرواني- العمدة- ج1- ص174.

[5]) المصدر نفسه- ص175.

حيث الاستماع[1]، وهناك من النّقاد من يرى أنّه أمر ضروري لازم، فهو دليل على قدرة الشاعر و سعة فصاحته و اقتداره في بلاغته.[2]

فالشاعر المقتدر لا بد أن يكون مبتعدا عن التكلّف حسب الموقف أو الحالة النفسية التي يمر بها، فإذا كان الشاعر مسرعا ابتعد عن التصريع و هذا دلالة على عدم وجود الوقت الكافي و المتسع للوقوف يصرع، فعلى الرغم من أنّ التصريع متوارث من العصر الجاهلي إذ كثر في شعرهم إلا أنّه بقي ذو قيمة عالية ورفيعة في قصائد الشعراء[3]، و هذا ما دفع ابن زيدون أن يلتزم به في بناء قصائده لما له من أثر موسيقي قي النّص الشعري، وهنا نجده واضحا في أوّل بيت شعري في نونيته في قوله:

أضحى التّنائي بديلا من تدانينا و ناب عن طيب لقيانا تجافينا[4]

والتصريع واضح في البيت حيث ألحق الشاعر عروض صدر البيت الأوّل **تدانينا** بضربه من خلال عجز البيت حيث كلمة الرّوي **تجافينا** ونلاحظ أيضا من خلال النسق الموسيقي للتّصريع انسجام المعنى مع صوت العروض والضرب وقوة تأثيرها على أذن السامع.

---

[1]) عبد القادر الجرجاني- أسرار البلاغة- ص91.

[2]) قدامة بن جعفر- نقد الشعر- ص52.

[3]) سيد حنفي حسين- الشعر الجاهلي- مراحله واتجاهاته الفنية- الهيئة المصرية للتّأليف و النّشر- 1975م- ص100.

[4]) ابن زيدون- الديوان- ص59.

خاتمة

خاتمة:

وفي الختام يمكن القول بأن الحنين فن شعري أصيل يرتبط بالحياة، فهو من الفنون التي تعني بتصوير جوانب من الحياة وتكشف عن الكثير من الحقائق التي يغلفها التاريخ، وهي مثال صادق لمرحلة تحمل في طياتها أحداثا سياسية وقتنا داخلية التي لا طالما انعكست على. حياة الاندلسين الاجتماعية وعلى حياة ابن زيدون الشاعر المخزومي الأندلسي الذي اشتهر بنونية الغزلية، بحيث ركز الشاعر على صدق العاطفة وإظهار الشوق للمحبوبة، وقد قامت هذه الأخيرة على تحالفية مرتكزة على رمز الحاضر والماضي بحيث اتسم كل زمن بصيغة تعكس بوضوح حالة الشاعر بنا فيه من جمال ووصال في الماضي وجفاء وفراق في الحاضر، ولما كان لا بدّ لكل بحث من نهاية، فلابد أن ننهي بحثنا هذا بأهم ما توصلنا إليه من نتائج أثر دراسة شعر الحنين الأندلسي عند ابن زيدون ومن خلال نونيته الشهيرة وهي:

1. يعبر شعر الحنين الأندلسي عن عواطف صادقة، استوجبت لغة سهلة وأسلوب بسيط وألفاظ متداولة بعيدة عن انعرابه، كما هو ظاهر من خلال الأشعار التي وردت في البحث، إذ نجد الأفكار خالية من الغموض والعبارات منتقاة من قبل الشاعر الذي تميز بالفصاحة والذوق السليم.
2. اهتمام شعراء شعر الحنين بالمعاني لإيصال معاناة الشوق والمودة في أسلوب فني بسيط وأنيق خال من التعقيد والإلهام.
3. احتل شعر الحنين حيزا واسعا ومكانة عظيمة عند شعراء الأندلسية، فمن أنواعه: الحنين إلى الوطن، والطبيعة والأهل والأحباب...وغيرها.
4. الحنين نزعة وجدانية إنسانية تشمل العصور والأزمنة كلها، وتعبر عن رغبة ذاتية صادقة في رؤية الوطن الأم الذي نشأ الشاعر فيه واضطرته تقلبات الحياة للابتعاد عنه.

5. لم يقتصر الشاعر الأندلسي على الحنين إلى مسقط رأسه ومنشأ طفولته وذكريات صباه بل تعداه إلى مدن أسهمت في تكوين شخصيته وثقافته كالحنين إلى المدن الأندلسية مثل قرطبة وبلنسية وغيرها.

6. هناك عدة أسباب أدت إلى ذيوع شعر الحنين في الأندلس مثل الرحلات والتي نجدها داخل المدن الأندلسية وحتى بلاد المشرق، بالإضافة إلى ابتعاد واعتقال الشعراء مما أدى بهم إلى كتابة قصائد عن الحنين وهم في بلاد الغربة نظرا لشوقهم وحبهم لبلدهم الأم.

7. موضوعات شعر الحنين جاءت متعددة ومختلفة بحيث نجدها تتحدث عن الوطن والطبيعة والأهل والأحباب والتي لا طالما هذه الموضوعات أثرت على. الشعراء الأندلسيين وأثرت فيهم، وكان قلمهم يكتب بشوق ولهف متمنين العودة إلى الوطن الأصلي الذي يعد مربع صباهم ومنشأهم.

8. أما عن الخصائص الفنية، فقد جاءت الألفاظ سهلة متينة بالوضوح وبعيدة من الإغراب والتعقيد وكثر في تلك الألفاظ ذكر الشوق، والأسى والأنين والشكوى والفراق والحزم...الخ. وغيرها من الألفاظ الدالة على الحنين أيضا والتي جاءت من خلال تكرار الدال على هذا الشعور.

9. استخدم الشاعر ابن زيدون في نونيته أنواع صورية مختلفة كالصور البيانية والبديعية فالمحسنات البديعية المعنوية في شعره نجده وظف المقابلة والطباق بحيث استخدمها الشاعر لربط حنينه الى ما مضى بكونه الحاضر فهذه الثنائية الضدية تعتبر أحد الركائز التي يقوم عليها شعر الحنين.

10. أما المحسنات البديعية فقد كان أبرزها وأكثرها حضورا الجناس فقد حرص الشاعر ابن زيدون على إظهار شعره أمام الناس بمظهر لائق الذي يعبر عن ثقافة الأندلسيين وتمكنهم من فهم ضروب الشعر وصناعته، ولم يؤثر هذا النوع من المحسنات البديعية على شعر الحنين الذي لا يتطلب الإكثار من ضروب البديع والزخرف اللفظي.

11. أما عن الجانب الآخر المهم من الخصائص الفنية وهو الجانب الموسيقي في شعر الحنين الذي حرص فيه الشاعر ابن زيدون على إبراز عنصر التأثير في المتلقي من خلال موسيقى الوزن والقافية والإيقاع الداخلي والخارجي، فمن خلال موسيقى الأوزان يتبين لنا أن الشعر الأندلسي قد استعمل اغلب البحور الشعرية في التعبير عن الحنين ومن أبرزها: الطويل والكامل والبسيط وهذا البحر اعتمده ابن زيدون في نونيته.

12. أسهمت موسيقى الإيقاع بنوعيها الداخلي والخارجي في إثراء موسيقى شعر الحنين، إلى جانب موسيقى الوزن والقافية،وذلك الإيقاع أحدثته بعض المحسنات البديعية التي وظفها الشاعر في التميز عن تجربته، فإيقاع التصريع أسهم في إعطاء نوع من الموسيقى للإيقاع الداخلي الذي تحدثه الجرس اللفظي من خلال التكرار، وساعد تكرار بعض الحروف في تقوية الجري الموسيقي للنص الشعري في حنين الشاعر ابن زيدون.

وعليه نرجوا من الله رضا العلي القدير أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث بما يرضي الله تعالى، ثم القارئ الفضيل، كما نرجوا أن نكون قد أسهمنا في إبراز هذا الجانب من شعرنا العربي الذي عبر عن قيمة وأهمية ومكانة شعر الحنين عند الاندلسين وخاصة عند ابن زيدون.

وختاما فالله وراء القصد، وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الأمين.

المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أوّلا: القرآن الكريم:

سورة البقرة- الآية 102

سورة النساء- الآية 66

سورة مريم- الآية12-13

سورة الفرقان- الآية 32

سورة الواقعة- الآية 4-5

سورة الجاثية- الآية 15

ثانيا: المعاجم والقواميس:

1- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- لسان العرب- دار صادر- بيروت- ط1- 1990م- ج13.

2- أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي- لسان العرب- دار صادر- بيروت- مجلّد4- د.ت.

3- اسماعيل بن حماد الجوهري- الصّحاح- تح: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- ج5.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي- كتاب العين- تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي- الأعلمي للمطبوعات- لبنان- ج3.

5- الفيروز آبادي مجد الدين- القاموس المحيط- مؤسسة الرّسالة- بيروت- ط1- 1406ه.

6- الفيروز آبادي مجد الدين- القاموس المحيط- دار العلم للجميع- بيروت- لبنان- ج3.

7- مجدي وهبة وكامل مهندس- معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب- مكتبة لبنان- بيروت- ط2.

8- علي بن محمد الشريف الجرجاني- معجم التّعريفات-محمد الصّديق المنشاوي- دار الفضيل للطباعة والنشر والتّوزيع- القاهرة-د.ط- 2004م.

ثالثا: قائمة المصادر:

1-ابن رشيق القيرواني- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده- تحقيق محمد محي الدّين الحميدي- صفر الخير-ط3- ج1- 1963م.

2- ابن رشيق القيرواني- العمدة في صناعة الشعر ونقده-تح: صلاح الدين الهواري- مكتبة الهلال للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- د.ط- 2002م.

3- أحمد شهاب الدّين المقرّي- نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب- تح: إحسان عباس- دار صادر- د.ط-د.ت- ج2.

4- أحمد شهاب الدّين المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب- دار الفكر- بيروت- ج1- 1998م.

5- أحمد شهاب الدين المقري- أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض- تح: إبراهيم الأبياري- مطبعة لجنة التّأليف و التّرجمة والنّشر- القاهرة- ج3- 1939م.

6- أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل- الصّناعتين- تح: جابر قميحة- دار الكتب العلمية- بيروت-د.ت.

7- أبو الحسن علي بن عثمان الإربلي- كتاب القوافي- تح: عبد المحسن فراج القحطاني- الشركة العربية للنشر والتوزيع- القاهرة- 1998م

9- أبو الفتح عثمان بن جني- الخصائص- دار الكتب العربي- بيروت- لبنان- ج1- 1952م.

10- أبو عبد الله الحميد- جذوة المقبس في ذكر ولاة الأندلس- تح: محمد بن تاويت الطبخي- مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع- د.ت.

11- أحمد بن يحي الضبي- الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تح: إبراهيم الأبياري- دار الكتاب المصري- القاهرة- ط 1- 1988م.

12- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزيني- شرح المعلقات السّبع- تقديم:كوجان- دار الحسين بن الحسين اليقظة- بيروت- د.ط- 1969م.

13- ابن خاقانبن أحمد بن غرطوج- قلائد العقيان في محاسن الأعيان- مطبعة التقدم العلمية- مصر- ط1- 1320ه.

14- ابن عبد الملك المراكشي- الذّيل و التّكملة لكتابي الموصول و الصّلة- تح: محمد بن شريفة- دار الثقافة- بيروت- ج4.

15- ابن الأحمر يوسف اسماعيل- نثير فرائد الجمان في نظم فصول الزمان- تحقيق محمد الرضوان الدّاية- دار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع- 1967م.

16- ابن الآبار- الحلّة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة- ج1- 1963م.

17- ابن بسام الشنتريني- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تقديم محمد رضوان الداية- منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي- دمشق- 1978م.

18- ابن سعيد علي- المغرب في حلى المغرب- تحقيق: شوقي ضيف- دار المعارف- القاهرة- ط4- 2004م.

19- ابن سعيد علي- اختصار القدح المعلي في تاريخ المحلي- تحقيق ابراهيم الأبياري- دار الكتاب اللبناني- بيروت- ط1- 1980م.

20- ابن حزم -طوق الحمامة في الألفة و الآلاف- دار مكتبة الحياة- بيروت- 2002م.

21- ابن الحجة الدموي تقي الدين أبو بكر بن عهلي بن عبدالله- خزانة الأدب و غاية الأرب- مكتبة الهلال- بيروت-ط1- 1967م.

22- ابن طباطبة العلوي- عيار الشعر- تح: محمد زغلول سلام- مطبعة التقدم- د.ت- د.ط.

23- ابن حزم- الإحكام في أصول الأحكام- دار الفكر- القاهرة- ج1- 1978م.

24- عبد المتعال الصعيدي- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح- مكتبة الآداب- القاهرة- 2005م- ج1.

25- خالد البلوي- تاج المفرق في تحلية علماء المفرق- تح: الحسن السائح- مطبوعات قصاله- العراق-د.ت-ط2.

26- حازم القرطاجني- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- تح: محمد الحبيب بن الخوجة- دار المغرب الإسلامي- بيروت- 1981م.

27- الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار-تح: إحسان عبّاس- مكتبة لبنان- ط2- 1984م.

28- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- تح: محمود شاكر- مكتبة مطبعة المدني- القاهرة- ط3- 1992م.

29- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- شرح وتعليق: أحمد مصطفى المراغي- المكتبة العربية- القاهرة- ط1- 1950م.

30- القرويني- الإيضاح في علم البلاغة- شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي- دار الكتاب اللبناني- ط6- ج1- 1985م.

31- قدامة بن جعفر- نقد الشعر- تحقيق: كمال مصطفى- مكتبة الخانجي- مصر- ط2- 1963م.

32- صلاح الدين الصفدي تمام الستون في شرح رسالة ابن زيدون- تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم- دار الفكر العربي- مصر- 1969م.

33- محمد الطاهر اللادقي- المبسط في علوم البلاغة- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- 1426ه/2005م.

34- عبد الفتاح فيود بسيوني- علم البديع- دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة و مسائل البديع- مؤسسة المختار للنشر و التوزيع- القاهرة- 2011م.

35- علي صدر الدين بن معصوم المدني- أنواع الربيع في أنواع البديع- تحقيق: شاكر هادي شكر مطبعة النعمان- النجف شرف- ط1- 1968م-ج1.

36- يحي بن حمزة العلوي- الطراز- مكتبة المقتضب- القاهرة- مصر- د ط- 1914م.

رابعا:قائمة المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

1-أحمد المختار العبادي- تاريخ المغرب والأندلس-دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- مصر-2005م.

2-أحمد هيكل- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة- دار المعارف- مصر- القاهرة – 1985م.

3-أحمد دقالي-الحنين في الشعر الأندلسي في القرن السابع الهجري- دار الوفاء-الأسكندرية-ط2-2008م.

4-أحمد الهاشمي-جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب -مؤسسة المعارف للطباعة و النشر-بيروت-1-ط1-دت.

5-أبو عثمان عمر بن جاحظ-الحنين إلى الأوطان تحقيق عبد الفتاح قبلان-مطبعة المنار-مصر-ط1-1986م.

6-إحسان عباس-تاريخ الأدب الأندلسي عصر السيادة قرطبة-دار الثقافة-بيرزت-ط3-1971م.

7-إحسان عباس-تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين-دار الشرق-عمان-ط1-1997م.

8- أبو عبد الله الحميري –صفة جزيرة الأندلس –تصحيح و تعليق: ليفي بروفسال- مطبعة التأليف و النشر و الترجمة- القاهرة- 1937م.

9- أبو الحسن النباهي- تاريخ قضاة الأندلس- تح: ليفي بروفنسال- القاهرة- 1947م.

10- أحمد جاسم الحسين- الشعرية قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي – الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعية- دمشق- سوريا- ط1- 2000م.

11- أحمد محمد عطا- نونية ابن زيدون بين التأثّر والتأثير- مكتبة الآداب- مصر- 1426ه/2005م- د.ط.

12- أحمد الشايب- الأسلوب- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- ط7-1987م

13- أنيس إبراهيم- موسيقى الشّعر- مكتبة الأنجلو- المصرية- ط3- 1965م.

14- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تح: ليفي بروفنسال- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-ج2-2009م.

15- ابن الخطيب لسان الدّين- الإحاطة في أخبار غرناطة- تح: محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط1- 1974م.

16- ابن خلدون- تاريخ ابن خلدون- تح: خليل شحادة- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط2- 1988م.

17- اليهنمساوي حسام- علم الأصوات- المكتبة الثقافية الدينية- القاهرة- د.ط- 2004م.

18- أمين أبو الليل- علوم البلاغة و المعاني والبديع و البيان- دار البركة للنشر والتوزيع- عمان- الأردن- ط1- 2008م.

19- بطرس البستاني- أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث- دار نظير عبود- بيروت- 1979م.

20- جرجي زيدان- فتح الأندلس- شركة أبناء الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع- الجزائر- 2014م.

21- جودت الركابي- في الأدب الأندلسي- دلر المعارف- القاهرة-ط1- 1950م.

22- حسين مؤنس- الشعر الأندلسي- دار الفكر- بيروت- لبنان- ط1- 1998م.

23- حنّا الفاخوري- الجامع في تاريخ الأدب العربي- دار الجيل- لبنان- ط1-1986م.

24- حسان تمام- اللغة العربية معناها ومبناها- عالم الكتاب- القاهرة- ط3- 1993م.

25- العربي بن سلامة- الأدب المغربي والأندلسي- بين التأسيس والتأصيل والتّجديد- دار النشر بهاء الدين- الجزائر – الأردن- 2009م.

26- العربي بن سلامة- تطور البناء الفني في القصيدة العربية- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر- ط1- 2006م.

27- شوقي ضيف- الفن ومذاهبه في الشعر العربي- دار المعارف- القاهرة- ط10- د.ت.

28- شعيب حليفي- الرحلة في الأدب العربي- دار الطباعة للنشر- القاهرة- مصر- ط1- 1992م.

29- صادق جودت- تاريخ المغرب والأندلس- منشورات جامعة القدس المفتوحة- فلسطين- ط1- 1998م.

30- صلاح جرار- قراءات في الشعر الأندلسي- دار المسيرة- عمان- الأردن- ط1- 2007م.

31- صفاء خلومي- فن التقطيع الشعري والقافية- دار الكتب- بيروت- ط3- 1966م.

32- الظاهرة احمد مكي- دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة- دار المعرفة- ط3- 1978م.

33- عثمان العبادلة- دراسات في الأدب الأندلسي- دار النهضة العربية- القاهرة- ط2-1995م.

34- عمر بوقرورة- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث- مركز المنشورات جامعة باتنة- أنجز طبعه على مطابع عمار قرفي- باتنة- الجزائر.

35- عبد العزيز عتيق- الأدب العربي في الأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- لبنان.

36-عبد العزيز عتيق- علم العروض و القافية- دار النهضة العربية-بيروت- 1978م.

37-عبد العزيز عتيق- علم البيان- دار النهضة العربية- للطباعة و النشر- بيروت- 1985م.

38-عبد العزيز الحلفي- أدباء السجون- دار الكتاب العربي- بيروت.

39-عبد الحكيم يلع- النثر الفني و أثر الجاحظ فيه- مطبعة لجنة البيان العربي- القاهرة- ط2- 1975م.

40- عمر توفيق سفر آغا- علم العروض- مكتبة الرشاد- ط1- 1969م.

41-عزوز زرقان- شعر الاستصراخ في الأندلس- دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان- ط1-2008م.

42- عثمان موافي- في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم- دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية- ج1-2002م.

43- عصفور جابر- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب- المركز الثقافي العربي- بيروت- ط3- 1992م.

44- علي الحازم ومصطفى أمين- البلاغة الواضحة (البيان- البديع- المعاني)- دار المعارف-مجهول السنة.

45- عبد القادر أبو شريفة- مدخل إلى تحليل النص الأدبي- دار الفكر-عمان- 1990م.

46- عيسى علي العكوب- العاطفة والإبداع الشعري- دار الفكر- دمشق- ط1- 2002م.

47- عصام نور الدين- علم الأصوات الفونتيكا- دار الفكر اللبناني- ط1- 1992م.

48- عبد الرحمن الوحي- الإيقاع في الشعر العربي- دار الحصاد للنشر والتوزيع- ط1-1989م.

49- عبد الدّايم صابر- موسيقى الشعر العربي بين الثبات و التطور- مكتبة الخانجي- مصر –ط3- 1993م.

50- فاطمة طحطح- الغربة والحنين في الشعر العربي-منشورات جامعة محمد الخامس- الرباط- المغرب- 1993م.

51- فاضل فتحي محمد والي- الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي- دار الأندلس للنشر و التوزيع- السعودية- ط1-1996م.

52- فوزي سعد عيسى- في الأدب الأندلسي- دار المعرفة الجامعية –الاسكندرية- 1999م.

53- نور الدين السّد- الشعرية العربية- دراسة في تطور القصيدة العربية حتى العصر العباسي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- بن عكنون- ط2-1995م.

54- نوري جعفر- اللغة والفكر –مكتبة التومي- الرباط- 1971م.

55- محمد زكريا عناني- الأدب الأندلسي- دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية- مصر-ط1-د.ت.

56- محمد زكريا عناني- تاريخ الأدب الأندلسي- دار المعرفة الجامعية- د.ط-1999م.

57- مصطفى السيوفي- تاريخ الأدب الأندلسي- دار الدولية للاستثمارات- القاهرة –مصر- 2008م.

58- محمد البشير العامري- دراسة حضارية في التاريخ الأندلسي- دار غيداء للنشر- عمان- الأردن- ط1-2012م.

59-مصطفى الشعكة- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه- دالر العلم للملايين- بيروت- ط2-1974م.

60-ميشال عامي- الشعر وبيئته في الأندلس- منشورات الكتاب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط1- 1970م.

61-محمد رضوان- في الأدب الأندلسي- دار الفكر- سورية- 2000م.

62-محمد عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع- نهاية الأندلس- مكتبة الخانجي- القاهرة.

63-محمد حور- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي- دار نهضة- القاهرة- مصر.

64-محمد رضوان الداية- الأدب الأندلسي والمغربي-مطبعة خالد بن الوليد- دمشق- 1981م.

65-محمد حسن فجة- محطات أندلسية- دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي- دار السعودية للنشر والتوزيع- دط- دت.

66- مصطفى محمود الحلوة- موسيقى الشعر- إربد الأردن- 1995م.

67-محمد النويهي- قضية الشعر الجديد- معهد الدراسات العربية العالمية- القاهرة- 1934م.

68-مهدي هلال ماهر- حرس الألفاظ ودلالتها في البحث اللفظي و النقدي عند العرب- طبعة وزارة الثقافة والإعلام- العراق- 1980م.

69-محمد عبدو و فلفل- التشكيل اللغوي للشعر – مقامات في نظرية التطبيق- منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق.

70-يوسف عطا الطريفي-شعراء العرب المغرب و الأندلس- الأهلية للنشر والتوزيع- عمان- ط1-2007م.

71-يوسف طويل- مدخل إلى الأدب الأندلسي- دار الفكر اللبناني-بيروت- ط1- 1991م.

72-يوسف عيد- الشعر الأندلسي وصدى النكبات- دار العزة والكرامة للكتاب- ط1- 1434ه/2013م.

73- يحي الجبوري- الحنين والغربة في الشعر العربي- دار مجدلاوي- عمان-ط1- 2008م.

ب-المراجع المترجمة:

1-أميليو غارثيا غومث- مع شعراء الأندلس والمتنبي- تر:حسين مؤنس- مكتبة النهضة المصرية-1969م.

2-جورج لايكوف ومارك جونسن- الاستعارات التي نحيا بها- تر: عبد المجيد جحفة- دار توبقال للنشر-الدار البيضاء- المغرب-ط2- 2009م.

3-رينيه ويلك وأوستن وازن- نظرية الأدب- تر: محي الدين صبحي- دمشق- 1972م.

4-فون شالك- الشعر العربي في اسبانيا وصقلية- تر: الطاهر أحمد مكي- دار الفكر العربي- القاهرة-ج1- 1999م.

5-جون كوين – اللغة العليا- تر:أحمد درويش- المجلس الأعلى للثقافة- 1995م.

خامسا: الدّواوين:

1-أبو فراس الحمداني- ديوان أبو فراس الحمداني-تق: عباس عبد الساتر- دار الكتب العلمية- بيروت-ط3-1993م.

2-أبي حيان أثير الدّين- ديوان أبي حيان أثير الدّين- تح: أحمد مطلوب- مطبعة عاني- بغداد- ط1-1969م.

3- ابن خفاجة- ديوان ابن خفاجة- دار صادر-بيروت- د.ت.

4-ابن خفاجة- ديوان ابن خفاجة-تح: عبد الله سندة- دار المعرفة- بيروت- ط1-1427ه/2006م.

5-ابن زيدون- ديوان ابن زيدون- تح: علي عبد العظيم- دار نهضة –مصر- القاهرة- ط1-1980م.

6-ابن شهيد- ديوان ابن شهيد-تح: يعقوب زكي- القاهرة-د.ت.

7-ابن شهيد- ديوان ابن شهيد- تح: علي عبد الظيم- دار النهضة مصر- القاهرة- ط1- 1980م.

8-ابن الآبار أبو عبد الله- ديوان ابن الآبار- تح: عبد السلام هراس- الدار التونسية للنشر- ط2- 1986م.

9-ابن فركون أبو الحسن بن أحمد- ديوان ابن فركون- تح: محمد بن شريفة- مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية- الرباط- ط1- 1987م.

10-ابن حداد الأندلسي –ديوان ابن حداد الأندلسي –تحقيق:يوسف علي امطويل-دار الكتب العلمية-لبنان-ط1-1990م.

11-ابن الخطيب لسان الدين –ديوان ابن خطيب-الطيب والجهام والماضي والكهام-تحقيق:محمد شريف قاهر-الشركةالوطنية للنشر و التوزيع-الجزائر-1973م.

12-عبد الحكيم القيسي –ديوان عبد الكريم القيسي –تحقيق:جمعة شيخة –بيت الحكمة-قرطاج-1988م.

13-المعتمد بن عباد.ديوان المعتمد –تحقيق: حامد عبد المجيد بمطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة-ط2- 1997م.

14-المتنبي- ديوان المتنبي- شرح الكعبري- تحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري- دار المعرفة- بيروت- 1978م.

15-محمد بن يوسف الصّريحي- ديوان ابن زمرّك- تحقيق احمد سليم الحمصي- المكتبة العصرية- بيروت – 1988م.

سادسا: الرسائل الجامعية:

1-حبيب محمود- الحنين في شعر صدر الإسلام- رسالة دكتوراه- دمشق- جامعة تشرين- وهران- 2009م.

2-جميلة الخوري- الطّبيعة في الشعر الأندلسي- رسالة ماجيستر- الجامعة الأمريكية- بيروت- 1946م.

3-رشاد عبد الله الخطيب- تجربة السجن في الشعر الأندلسي- رسالة ماجستر- إشراف د.هاني العمد- 1996م.

4-فوار محمد-بنية القصيدة العربية في الجاهلية و الإسلام- أطروحة دكتوراه- جامعة منتوري- قسنطينة- 2006م.

5-محمد بلعباسي- القصيدة الجزائرية المعاصرة- بحث في الكشف عن آلية تركيب لغة الشعر- أطروحة دكتوراه- كلية الآداب والفنون- جامعة احمد بن بلة- وهران- 2015/2014م.

سابعاً: المجلاّت:

1-مجلة العربي- وزارة الثقافة- الكويت- العدد 635- شوال 1432ه- أكتوبر 2011م.

2-مجلة الآداب- الصورة الكنائية في القصيدة الجاهلية- عيكوس الأخضر- جامعة قسنطينة- العدد 4- 1997م.

3- مجلة العلوم الإنسانية كلية التربية-عناصر الفجاءة في نونية ابن زيدون- عباس علي الفحام- صفي الدين الحلي- جامعة بابل- العراق- العدد 6- 2011م.

4-برباق ربيعة- الإيقاع الشعري- دراسة لسانية جمالية- جامعة الشيخ العربي التبسي- الجزائر- تبسة- العدد 08- جانفي 2011م.

5- مجلة آداب ذي قار-خالد لفته باقر- الفن في شعر ابن خاتمة الأندلسي- دراسة في تركيبه الصوتي- العدد 07.

شخصيات أندلسية



إبن زيدون

الإسم: أحمد بن عبد الله بن زويدون المخزومي الأندلسي.

اللقب: إبن زيدون.

تاريخ الميلاد: ٣٩٤هـ - ١٠٠٣م.

مكان الميلاد: الرصافة من ضواحي قرطبة.

المكانة العلمية: كان كاتباً و شاعراً و وزيراً.

ابن زيدون عصره وحياته وآثاره:

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي،و هو من أبناء وجوه الفقهاء[1].فقد كان والده من هيئة الفقهاء المشاورين لعهد الخليفة المستعين[2]،و كان جده لأمه صاحب الأحكام بقرطبة،فهو من بيت حسب و نسب و ثراء[3].و قد ولد أبو الوليد أحمد بن زيدون سنة 394 ه/1003 م[4].

تعلم ابن زيدون على يد والده و آخرين،و ظل ينهل من العلوم و الآداب،ثم تفتقت ملكة الشعر عنده،فكان ذا موهبة فياضة،و لم تصل إلينا تفاصيل عن فترة شبابه،إذ غطى عشقه لولادة بنت الخليفة المستكفي على كل ما عداه من تفاصيل،حتى أننا لا نعرف دوره– بالتحديد– في الحوادث التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية في قرطبة،و قيام أبي الحزم بن جهور بأمور الحكم سنة 422 ه[5].كان ابن زيدون إلى جانبه و توطدت العلاقة بينه و بين ولادة و لكنهما تخاصما و تباعدا،فتعلقت ولادة بالوزير أبي عامر بن عبدوس، و لم تجد توسلات ابن زيدون إليها،فكتب رسالة أسماها (الرسالة الهزلية) على لسان ولادة و بعث بها إليها كي ترسلها إلى ابن عبدوس، لكنها غضبت من ذلك غضبا شديدا و هجته[6].بينما دس له ابن عبدوس عند أبي الحزم بن جهور مما أدى إلى سجنه،فكتب الرسالة الجدية يستعطفه فيها كي يفك حبسه، وكتب له قصائد كثيرة في نفس هذا الغرض و بعد هروبه من سجن قرطبة ظل يستعطف أبا الحزم و يتوسل إليه ببعض ذوي الشأن و على رأسهم الأمير أبو الوليد فقرب إليه ابن زيدون، و عينه للنظر على أهل الذمة،ثم رفعه إلى مرتبة الوزارة، فمدحه ابن زيدون بقصائد تفيض بالإخلاص،و قابل أبو الوليد هذه الأشعار باتخاذه سفيرا له بينه و بين ملوك

---

[1] ابن بسام الشنتريني:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.ت: احسان عباس.القسم الأول –ج1-ص337 .

[2] شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي-عصر الدول و الامارات-الأندلس ص281 .وقد حكم المستعين بين عامي 399 ه-407 ه .

[3] المرجع نفسه ص 282.

[4] ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.ج 1 –ص 338 .

[5] البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب.ابن عذارى المراكشي-ت:ج.س.كولان و ليفي بروفنسال-دار الثقافة بيروت-1983 ص

[6] علي عبد العظيم:ابن زيدون عصره و حياته و أدبه.سلسلة أعلام العرب-العدد 66-دار الكاتب العربي-القاهرة 1967.ص 87 .

الطوائف[1].و قد أراد ملك قرطبة أن تكون سفارة ابن زيدون وسيلة لابتعاده،لعله ينسى عشق ولادة.و قد حققت له تلك السفارات شهرة في أرجاء الأندلس.كما وطدت العلاقة بينه و بين الملوك في شرق الجزيرة و غربها .

و لكن عقارب الساعة عادت فعملت على الكيد لابن زيدون و التفريق بينه و بين ابن جهور فخشي ابن زيدون أن يلقى منه ما لقيه من والده.فتنقل قليلا في أرجاء الأندلس،ثم قرر الذهاب إلى حضرة المعتضد بن عباد ملك اشبيلية،فمضى إليه متحليا بخبرة السفير و السياسي العارف و الشاعر المفلق ،و لكنه كان يحمل في قلبه جرح العشق الغائر لحرمانه من حبيبته ولادة.و كان ذهابه إلى ابن عباد سنة 441 ه[2].واستقرت الأحوال بابن زيدون في اشبيلية،فقد أكرم المعتضد وفادته،و عينه في وزارته.و غمره بثقته و عطفه،و ما زال متمتعا برفيع مكانه و نفوذه حتى وفاة المعتضد سنة 461 ه[3].وبع عامين توفي أبو الوليد أحمد ابن زيدون مخلف قصة حب نادرة،و دورا سياسيا مليئا بالمغامرات،و ديوان من الشعر يأتي في صدارة الدواوين العربية.

منزلته :

أجمع الباحثون في تاريخ الأدب على أن أبا الوليد أحمد بن زيدون أعظم شعراء عصره،قال ابن بسام الشنتريني"كان أبو الوليد صاحب منثور و منظوم،و خاتمة شعراء مخزوم،أحد من جر الأيام جرا،و فات الأنام طرا،و صرف السلطان نفعا و ضرا،وسع البيان نظما و نثرا،إلى أدب ليس للبحر تدفقه،و لا للبدر تألقه،و شعر ليس للسحر بيانه،و لا النجوم الزهر اقترانه،و حظ من النثر غريب المباني،شعري الألفاظ و المعاني"[4].و قد كانت قوة موهبة ابن زيدون و سلاسة أشعاره دافعا إلى أن يطلق عليه لقب بحتري المغرب[5].تشبيها له بالشاعر البحتري.و تتجلى منزلة ابن زيدون فيما ورد عند المقري حين قال:"قال بعض الأدباء:من لبس البياض و تختم بالعقيق،و قرأ لأبي

---

[1] شوقي ضيف:ابن زيدون-دار المعارف ط 11-1981-ص 25 .
[2] الذخيرة:القسم الأول-ج1-ص 339 .
[3] ابن عذارى المراكشي:البيان المغرب-ج3-ص 57 .
[4] الذخيرة-ق1-ص 336 .
[5] نهاد رفعة عناية:ابن زيدون المطبعة الهاشمية بدمشق 1939 -ص 47 .

أضحى التنائي

أضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا، ... وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا ... حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعينَا

مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ، ... حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا ... أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

غِيظَ العِدا مِنْ تَساقِينا الهوَى فدعَوْا ... بِأنْ نَغَصَّ، فقالَ الدهرُ آمينَا

فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا؛ ... وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا، ... فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

يا ليتَ شعرِي، ولم نُعتِبْ أعاديكم، ... هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لكُمْ ... رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

ما حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ ... بِنا، ولا أن تَسُرّوا كاشِحاً فِينَا

كُنّا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه، ... وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

بِنْتُم وَبِنّا، فَما ابتَلّتْ جَوَانِحُنَا ... شَوْقاً إلَيكُمْ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا

نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا، ... يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا

حَالَتْ لفقدِكُمُ أيّامُنا، فَغَدَتْ ... سُوداً، وكانتْ بكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا

إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا؛ ... وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانية ... قِطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا

لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما ... كُنْتُمْ لأروَاحِنَا إلاّ رَياحينَا

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا؛ ... أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا!

وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْواؤنَا بَدَلاً ... مِنْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا

يا ساريَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به ... مَن كانَ صِرْفَ الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

وَاسألْ هُنالِكَ: هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا ... إلفاً، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا؟

وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا ... مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

فهلْ أرى الدّهرَ يقضينا مساعفَةً ... مِنْهُ، وإنْ لم يكُنْ غبّاً تقاضِينَا

رَبيبُ مُلكٍ، كَأنّ اللَّهَ أنْشَأهُ ... مِسكاً، وَقَدّرَ إنشاءَ الوَرَى طِينَا

أوْ صَاغَهُ وَرِقاً مَحْضاً، وَتَوّجَهُ ... مِنْ نَاصِعِ التّبرِ إبْداعاً وتَحسِينَا

إذا تَأوّدَ آدَتْهُ، رَفاهِيَةً ، تُومُ العُقُودِ، وَأدمتَهُ البُرَى لِينَا

كانتَ لَهُ الشّمسُ ظئراً في أكِلّتِه، بَلْ ما تَجَلّى لها إلاّ أحايينَا

كأنّما أثبتَتْ، في صَحنِ وجنتِهِ، زُهْرُ الكَواكِبِ تَعويذاً وَتزْيينَا

ما ضَرّ أنْ لمْ نَكُنْ أكفاءه شرَفاً، وَفي المَوَدّةِ كافٍ مِنْ تَكَافِينَا؟

يا رَوْضَةً طالَما أجْنَتْ لَوَاحِظَنَا وَرْداً، جَلاهُ الصِّبا غضّاً، وَنَسْرِينَا

ويَا حياةً تمَلّيْنَا، بزَهرَتِهَا، مُنًى ضُرُوباً، ولَذّاتٍ أفانِينَا

ويَا نعِيماً خطَرْنَا، مِنْ غَضَارَتِهِ، في وَشْيِ نُعْمَى، سحَبنا ذَيلَه حينَا

لَسنا نُسَمّيكِ إجْلالاً وَتَكْرِمَةً ؛ وَقَدْرُكِ المُعْتَلي عَنْ ذاك يُغْنِينَا

إذا انفرَدَتِ وما شُورِكتِ في صِفَةٍ ، فحسبُنا الوَصْفُ إيضَاحاً وَتَبْيينَا

يا جَنّةَ الخُلدِ أُبدِلنا، بسدرَتِها والكوثرِ العذبِ، زَقّوماً وَغِسلينَا

كأنّنَا لم نبِتْ، والوصلُ ثالثُنَا، وَالسّعدُ قَدْ غَضَّ من أجفانِ وَاشينَا

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكمْ في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا

سِرّانِ في خاطِرِ الظّلْماءِ يَكتُمُنا، حتى يكادَ لسانُ الصّبحِ يفشينَا

لا غَرْوَ في أنْ ذكرْنا الحزْنَ حينَ نهتْ عنهُ النُّهَى، وَتركْنا الصّبْرَ ناسِينَا

إنّا قرَأنا الأسَى، يوْمَ النّوى، سُوَراً مَكتوبَةً، وَأخَذْنَا الصّبرَ تلقينَا

أمّا هواكِ، فلمْ نعدِلْ بمَنْهَلِهِ شُرْباً وَإنْ كانَ يُرْوِينَا فيُظْمِينَا

لمْ نَجْفُ أفقَ جمالٍ أنتِ كوكبُهُ سالِينَ عنهُ، ولم نهجُرْهُ قالِينَا

وَلا اخْتِياراً تَجَنّبْناهُ عَنْ كَثَبٍ، لكنْ عَدَتْنَا، على كُرْهٍ، عَوَادِينَا

نأسَى عليكِ إذا حُثّتْ، مُشَعْشَعَةً، فِينا الشَّمُولُ، وغنَّانَا مُغَنّينَا

لا أكْؤسُ الرّاحِ تُبدي من شمائِلِنَا سِيمَا ارْتياحٍ، وَلا الأوْتارُ تُلْهِينَا

دومي على العهدِ، ما دُمنا، مُحافِظَةً، فالحرُّ مَنْ دانَ إنْصافاً كما دينَا

فَما استعضْنا خَليلاً منكِ يحبسُنا وَلا استفدْنا حبِيباً عنكِ يثنينَا

وَلَوْ صبَا نحوَنَا، من عُلوِ مطلعه، بدرُ الدُّجى لم يكنْ حاشاكِ يصبِينَا

أبكي وَفاءً، وَإنْ لم تَبْذُلي صِلَةً، فَالطّيفُ يُقْنِعُنَا، وَالذّكرُ يَكفِينَا

وَفي الجَوَابِ مَتَاعٌ، إنْ شَفَعتِ بهِ بيضَ الأيادي، التي ما زلتِ تُولِينَا

عليكِ منّا سَلامُ اللّهِ ما بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكِ نُخْفِيهَا، فَتُخْفِينَا

المحتوى
الصفحة

الملخص:

الحنين باب قديم في الشعر العربي وقد ضرب فيه الشعراء بسهم وافر لأنه يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة ويرتبط في الأغلب الأمم بمحنة الغربة التي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحبائه لظروف اجتماعية وسياسية مختلفة.

وقد اتسع مفهوم شعر الحنين عند الاندلسين وخاصة عند الشاعر ابن زيدون والذي اشتهر بنونية الغزلية والتي كتبها الحبيبة قلبه ولادة بنت المستكفي يعبر لها عن حنينه وشوقه وحبه لها والتي مطلعها " أضحى التنائي بديلا من تدانينا" وهي قصيدة رائعة تجذب السامع والمتلقي لقراءتها والتمعن في أبياتها التي تحتوي في طياتها أهم الصور البلاغية التي تبهجت في روح القارئ حب الاطلاع والانجذاب الى الشعر.

وعليه فقد كان البحث عبارة عن فصلين فصل نظري واخر تطبيقي، فالنظري عبارة عن معلومات وجيزة عن شعر الحنين وذكر أهم المواضيع الموجودة فيه والتطبيقي كان عبارة عن دراسة جمالية وفنية بنونية ابن زيدون.

الكلمات المفتاحية: بلاد الأندلس- شعر الحنين- ابن زيدون الأندلسي- القصيدة النونية وتحليلها- ولادة بنت المستكفي.

Le **résumé:**

Nostalgie Une vieille porte de la poésie arabe a été frappée par des poètes aux ressources abondantes car elle exprime une émotion humaine sincère et est principalement associée aux nations de la détresse de l'aliénation dans laquelle l'homme quitte sa patrie, son peuple et ses proches en fonction de circonstances sociales et politiques différentes .

Le concept de sentir la nostalgie a augmenté à Alandlsin, surtout quand le poète Ibn Zaidoun qui est devenu célèbre filature Bnonah et par lafille de coeur bien - aimée naissance Almcetkvi exprime son désir et de nostalgie et d' amour pour elle, qui commence , « est devenu alternatif Altinai Tdanina » Il est un merveilleux poème attire l' auditeur et le destinataire à

lire et à réfléchir à la plus pure de ce qui Contient les images rhétoriques les plus importantes qui enchantent l'esprit de l'amour du lecteur pour la connaissance et l'attirance pour la poésie .

Par conséquent, la recherche était deux chapitres chapitre théoriques et autres appliqués, le théorique est une brève information sur la poésie de la nostalgie et mentionné les sujets les plus importants en elle et appliquée était une étude esthétique et technique Benoun Zaidoun .

Mots − **clés** : Pays d'Andalousie − poésie nostalgie − Ibn Zaidoun andalou − poème et analyse − la naissance d'une fille Almstakvi